تخوين الآخر وإدانته: قراءة في سيكولوجية المشهد السياسي المصري المعاصر

إعـــــداد

د. محمد السعيد أبو حلاوة *.

مجلة الدراسات التربوية والانسانية ــ كلية التربية ــ جامعة دمنهور

المجلد السادس –العدد الاول– لسنة 2014

---

* د. محمد السعيد أبو حلاوة. مدرس الصحة النفسية، كلية التربية جامعة دمنهور.

doi: 10.12816/0005708

تخوين الآخر وإدانته: قراءة في سيكولوجية المشهد السياسي المصري المعاصر

د. محمد السعيد عبد الجواد أبوحلاوة.

مقدمة

العبث العنوان القابض بتلابيبه على المشهد السياسي المعاصر في دول ثورات الانعتاق العربي من العبودية النفسية للآخر والظرف والسياق، خاصة في المحروسة يقيناً مصر وهي في حالة تلبث بعبثيتها.

ويبدو أن هذا العنوان صادم لدرجة تبعث على الاشمئزاز، ومع التسليم ابتداءً بصحة هذا الانفعال، إلا أن شواهد العبث في الواقع السياسي المعاصر لا تخطئها عين رجل الشارع العادي، فضلاً عن عيون المتخصصين في العلوم الاجتماعية والنفسية؛ نظرًا لما ارتبط بها من ظواهر غريبة وشاذة عن حالة التكوين الحقيقي لمصر تاريخاً وقيمة ومصيرًا، فضلاً عن استعصاء الكثير من الظواهر هذه على التفهم والتفسير فيما هو متوافر في أدبيات العلوم الاجتماعية والنفسية.

وإن كان من المفيد تفهم طبيعة سوابق المشهد والمشهد ذاته وما ترتب عليه من تداعيات خاصة ما يمكن تسميته بظاهرة **البؤس النفسي*** الذي تتبدي أهم مؤشراته في زراعة اليأس في قلوب البسطاء واتساع نطاق الكراهية وإعلاء وسع التمركز حول الذات، إلا أن الأكثر أهمية البحث في محددات وديناميات تشكيله بالوضع الذي هو عليه، فضلاً عن البحث في مآلاته حال استمراره هكذا دون استنفار همة تقويض محدداته وإعادة نظم محددات تكوين مشهد مغاير يعيد رسم ابتسامة حياة على جبين مصر بوصفها فيما تؤكد عطاءات

* وصف الباحث في متن الدراسة مفهوم البؤس النفسي محددًا أبعاده ومظاهره بوصفه ذا علاقة تأثيرية ثنائية الاتجاه بينه وبين حالة التخوين والإدانة، علمًا بأن مفهوم البؤس النفسي لم يرد في أدبيات علم النفس وأدلة تصنيف وتشخيص الاضطرابات النفسية والسلوكية المعتمدة في المجال.

التاريخ عبقرية إنسان وخصوصية شخصية مؤصلة لقيم الحق والخير والجمال.

ومع التسليم بتأخر البحث النفسي على وجه التحديد في متابعة القضايا الحالّه والمصيرية التي تتعاظم أهميتها مقارنة بقضايا البحث السيكولوجي التقليدية على الرغم من قيمتها وأهميتها العلمية، يبقى البحث السيكولوجي في قضايا الحال والمصير أمرًا له وجاهته.

والمتتبع لحالة الحياة في مصر بعد ثورة 25 يناير يجدها كالأم العجوز التي أفنت حياتها في تربية أبنائها، وهي الآن في حالة احتضار تناديهم نجدة وعوناً فيخرجون لها اللسان ويديرون لها الظهر قائلين لن نجتمع إلا في سرادق عزائك (أيمن نور،2013).

ويمثل الاندفاع التلقائي نحو تخوين الآخر كل الآخر وإدانته بوصفه العملة الرائجة فى سوق الحياة السياسية في الوقت الحالي مركب نفسي مفسرًا فيما يرى الباحث لحالة **العبث الحياتي** الحالّه بكل مؤشراتها البادية للعيان والتي تعبر عن حالة اللايقين والافتقاد إلى الوجهة المُعَينة للمسار والمؤطرة للمجال، أو التخطيط رغم ما يعتري النفس من آلام يقينية الوجود والإحساس مفتعلة الكبت والقمع للاستمرار في هذه الحالة المزرية من الاندفاع نحو التخوين والإدانة.

ومن هذا المنطلق فالتخوين والإدانة يمثلان تجسيدًا لما يمكن تسميته بالعنف النفسي والتعري الأخلاقي والنفسي بمظاهره ومجالاته التي تتموضع حول تحقير الآخر والتقليل من شأنه والتأييس منه،وإماتته معنويًا ببجاحة غير معهودة، ومن يمارس العنف النفسي هذا ينطلق في ممارساته من نظرة استعلائية، استعراضية، استبعادية، استعدائية، استغلالية، واستبدادية،فضلاً عن التوظيف في مجالات أبعد ما تكون عن آمال البهجة ورجاء التصويب ورسم إيجابي لمصير وطن.

والسؤال الأكثر منطقية وفقًا لذلك: على من يتغذى صانعوا حالة العبث الراهنة؟ يرى الباحث من واقع مشاهداته ومتابعته للهوس الإعلامي فضاءً مرئيًا وشبكيًا أن الفئة التي يتغذى عليها صانعوا حالة العبث هي فئة الشباب التي بُث فيها الطائفية العرقية والعقيدية والإيديولوجية فأصبحوا وقودًا مؤججًا لحالة الاستغلال والتوظيف السياسي بمزيد من الاندفاع باتجاه التخوين وكيل الاتهامات ومهاجمة الأفراد وصناعة الكراهية (ثناء محمد صالح، 2013).

ويصور فهمي هويدي(2013)حالة صناعة الكراهية بتناوله لما سماه "هيكلة العنف" ويعتبرها كارثة في أن يتحول العنف إلى ظاهرة فى ساحة التجاذب السياسي، وأن يعمد بعض الساسيين والإعلاميين إلى تبريره وإضفاء الشرعية على ممارساته يوسع نطاقه بحيث بات يتسم بالقسوة والغل.

ولم يعد الاندفاع إلى التخوين والإدانة يستهدف إيذاء الطرف الآخر وإيلامه، ولكنه أصبح يقترن بالإقصاء وتصور استحالة التعايش معه «لأن الوطن لم يعد يسعنا معا» فكيف تشكلت هذه الحالة؟ وما مؤشراتها؟ وما محددات تكوينها؟ وكيف يمكن التخلص منها؟

مشكلة الدراسة:

تمر المنطقة العربية والإسلامية بأحداثٍ جسامٍ تفرض واقعا من التحدي أمام الباحثين السيكولوجيين لتناول التجارب– قصيرة الأجل وجودية التأثير– وصفًا وفهمًا وتفسيرًا لاستنتاج فكرة تنهض بتلك الأحداث الثورية وتنقلها من الانفعالية إلي النهضوية؛ لكون الانفعالية حالة غضب معيقة لسلامة التفكير وانتظام الوجهة والمسار، وتتغذى على فشل النخبة في القيام بدور الدليل الحكيم ، والقيام عوضًا عن ذلك بدور المؤجج للحالة وسعًا وعمقًا ودوامًا بأيديولوجية براجماتية تتعثر بخلفيات ووهميات لم تجرؤ علي التخلص منها أو مراجعتها على خلفية النقد الذاتي المنضبط بالتوجهات الأخلاقية العليا (سامح عسكر، 2012).

ومع التباشير الأولى لربيع ثورة(25) يناير 2011 داعبتنا آمـــالٌ وأحـــلام، بكينا فرحًا وتفاؤلاً وغمرتنا نشوة انتصار وطن وقطع لدابر الظالمين، فتوحدنا جميعًا واندفعنا تلقائيًا نحو احتضان الآخر كل الآخر وذبنا معًا عشقًا وهيامًـــا، منّينا النفس باستمرار الحالة واتساع النطاق، والسؤال أمازلت آمالنا، أحلامنا، بكاؤنا، نشوتنا، احتضاننا، عشقنا، وأمانينا قائمة؟ أم تراها كانت أضغاث أحلام أمة قتلها أبناؤها فيما بعد بسفاهة قول وبلادة انفعال وعبثية تصرف؟

وتوقع الجميع أن تتصرف ما تسمى بالقوى الثورية والتيارات السياسية إلى التثقيف السياسي الحقيقي الذي يُرَشد من حركة الفعل الثوري وســـعًا وعمقًـــا وغاية، فتوارت تلك القوى لتسلم زمام أمرها لنخب وزمر صانعة لحالة عبث بؤرته ومداراته التخوين والإدانة، ولواحقه حالة نفسية عامة من الكآبة والتيـــه والارتباك يصاحبها تفكير آني وتصرفات تسير بنا في رحاب ما يصح تسميته صناعة الكراهية، ولنصبح أمام حالة من **العبثية** وانسداد الأفق لا مثيل لها في مسار التاريخ القريب.

ويعبر السيد ياسين(2013)عن هذا الواقع العبثي بسؤال عام مفـــاده: كيـــف يمكن لنا أن نفهم بعمق المشهد السياسي الراهن في مصر بما يزخر بـــه مـــن ظواهر متشابكة تختلط فيه الثورة بالفوضى، وتتصارع الاتجاهـــات الســـلمية لمظاهرات الشباب مع النوازع الفوضوية التي تؤدى إلى إراقة الدماء، وحيث تتشابك جبهة الإنقاذ الوطني في صراع عنيف مع جماعة الإخوان المســـلمين والتيارات السلفية؟

ويشير عمرو حمزاوي (2013) إلى ذلك الواقع السياسي الحال فـــي المشـــهد السياسي المعاصر بفكرة التشرذم والقطيعة بين التيارات اللاعبة على الســـاحة فهؤلاء المتشددون والمتطرفون فى مساحة اليمين الدينى على حـــد تعبيـــره لا يرون فى «فسطاط الأشرار»إلا ما يستدعى **الإلغاء والإقصاء عنفـــا وقمعـــا وترهيبا**، وينفون بالكامل إمكانية العيش المشترك وتوافق الحد الأدنى لمصلحة

الوطن، ويناقضون من ثم فى تصريحاتهم وأفعالهم مبادئ الديمقراطية والسلم المجتمعى.

ويضيف أن التيارات الليبرالية واليسارية تستند هي إلى المعادلة الفاشية، إما معنا أو ضدنا، إما نحن أو هم، **مصر** إما لنا أو لهم، وهنا تتحول ممارساتهم السياسية إلى إقصاء مجتمعى وسياسى.أما المشار إليه بـ«هم» فينقسمون من جهة إلى جميع تيارات اليمين الدينى التى يتعين نفيها وإخراجها من المجتمع، وكأن الأخير ملكية خاصة لليبراليين واليسار، ومن جهة أخرى إلى جموع مؤيديهم من مواطنات ومواطنين غرر بهم إن بسكر وزيت أو بالدعاية الدينية وهؤلاء ينبغى إخضاعهم لإرادة «المستنيرين» و«الواعين» عبر الإقصاء بعيدا عن صندوق الانتخابات وعبر عمليات توعية وإعادة تأهيل تديرها الطبقة الوسطى والفئات الميسورة المستنيرة.

إذن مركب التخوين ــ الإدانة عنوان المشهد السياسي المعاصر والسكوت عن الوصف والتفسير العلمي له وما يرتبط بهما من عنف بادية مؤشراته على نحو ما يشير فهمي هويدي(2013)أقرب إلى اللعب بالنار، لأن ما هو ظاهرة طارئة الآن قد يتحول بمضي الوقت إلى جزء من ثقافة المجتمع، الأمر الذي يفتح الأبواب أمام احتمالات هيكلتها وتوفير غطاء تنظيمي ومؤسسي له،وإذا ما حدث ذلك فإن السياسيين والإعلاميين الذين يسوغونه ويبررونه يكونون قد ارتكبوا جريمة في حق الوطن. إذ لكي يحققوا انجازا تكتيكيا فإنهم أسهموا في تشويه المجتمع وألحقوا به خسارة إستراتيجية فادحة.

وتأتي خطورة هذه الخسارة المشار إليها من إمكانية الانتقال من إسقاط نظام إلى إسقاط دولة فإسقاط مجتمع فتأبين وطن قلنا أنه يعيش فينا ولا نعيش فيه فقط، وتبدو مؤشرات ذلك بادية للعيان بالانصراف عن قضايا الوجود والمصير المتمثلة في الأمن القومي وقضايا المياة والتنمية.

ويرى الباحث من جانبه أن الوصف والتفسير النفسي أقرب إلى التمكين من وصف حالة العبث الحياتي العام الحالة وتحليلها وتفسيرها،استنادًا إلى افتراض مفاده أن الاندفاع باتجاه تخوين الآخر كل الآخر وإدانته وإنفاذ حكم الإدانة بفعل الإقصاء والتشويه الفعلي أو المعنوي وحدة التفسير الأكثر ملائمة للحالة الراهنة.

والسؤال المطروح والمثير لذلك القلق المعرفي البادي بين خواطر التفكير وانكسار القلب وانحباس اللسان:

ما العوامل التي تقف وراء تكوين حالة التخوين والإدانة؟ وما أسباب التحول الظاهر من مركب الإيثار– الغيرية المتجسد في لحظة الفعل الثورة الحقيقي من 25 يناير إلى لحظة الرحيل وما تلاها مباشرة ، إلى مركب الأثرة ـــ الأنانية؟ لماذا يندفع الجميع هكذا تلقائيًا باتجاه إهانة الآخر وإهانة الوطن بصورة عامة؟ هل يمكن أن يكتب لأمة ترنوا للعلا سبيلا نظم مسار إيجابي للارتقاء والاندفاع فيه وإهانة أبنائها لها عنوان حياتها؟هل يمكن عزو مؤشرات الحالة إلى فشل مؤسسات ما يمكن تسميته تكوين الشخصية في صياغة ضمير جمعي قوامه مركب الإيثار– الغيرية؟ هل الحالة بأبعادها ومؤشراتها دالة لظرف اقتصادي خانق ؟ وهل رد الفعل العابث من قبل الجميع دالة للخوف من الآخر وعدم الاطمئنان إليه؟

وتأسيسًا على ما سبق يمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيسي التالي:

" ما تفسير حالة التخوين والإدانة كوحدة وصف للمشهد السياسي المعاصر من المنظور النفسي؟"

ويتفرع من هذا التساؤل الرئيسي الأسئلة الفرعية التالية:

(1) ما طبيعة حالة التخوين والإدانة من حيث عناصرها وخصائصها؟

(2) ما محددات تكوين حالة تخوين الآخر وإدانته؟

(3) ما سمات حالة تخوين الآخر وإدانته؟

(4) ما وحدة وصف وتحليل تخوين الآخر وإدانته؟

(5) ما خصائص وديناميات شخصية المندفعون باتجاه تخوين الآخر وإدانته؟

(6) ما المصاحبات النفسية لحالة تخوين الآخر وإدانته؟

(7) ما سبل التخلص من حالة التخوين والإدانة؟

مبررات الدراسة وأهدافها

تستهدف الدراسة الحالية تحقيق ما يلي:

1.الكشف عن طبيعة حالة التخوين والإدانة.

2.الكشف عن محددات تشكيل حالة تخوين الآخر وإدانته.

3.الكشف عن سمات حالة تخوين الآخر وإدانته.

4.وصف وتفسير حالة تخوين الآخر وإدانته.

5.تحديد خصائص شخصية المندفعون باتجاه تخوين الآخر وإدانته.

6.الكشف عن المصاحبات النفسية لحالة تخوين الآخر وإدانته.

7.الكشف عن طرق التخلص من حالة تخوين الآخر وإدانته.

أهمية الدراسة:

في ظل هذه الحالة المرتبكة تبرز الحاجة لتحليل عقلاني رشيد ربما يسهم في الانتقال من مصاف الانفعال الفوضوي إلى مصاف الفعل النهضوي؛إذ باتت لغة الإقصاء والتخوين،تلغي الآخر ورأيه، من خلال لهجة زرع بذور الشك والريبة بيننا، ولعله لا يخفى على أحد بأن ثقافة التخوين أمر يسوق تلقائيا من خلال بعض الجهات التي ترى إن هذا الأسلوب هو الأفضل، في الوقت الحالي مما يساعد على بث التفرقة بين الأفراد، وتشتيت الأفكار في لحظة فارقة لا يدركها الجميع تتلخص بين فكرين واقعيين الأول ماض مريض مرير يمتزج به حب العبودية وغوص في أعماق التقديس وبين فكر حاضر يمتزج فيه الغث والسمين وذلك بعدما بدا الشعب بالوقوف أمام الظلم

والانطلاق إلى الحرية؛ مما يستوجب يقظة ضمير واندفاع علمي متسلح بأدوات المنهج العلمي لفهم الحالة وتبيان مسارها ومآلاتها وطرق تقويضها ومن ثم استنهاض الأمة وانتشالها من هذا الواقع المرير والمؤلم.

مصطلحات الدراسة :

تنتظم الدراسة الحالية حول عدة مصطلحات تمثل فيما بينها مكونات النموذج الذي يتبناه الباحث في الوصف والتفسير، ويرى الباحث من جانبه إثراءً للفهم وتعميقًا لوسع مجاله التناول المفصل بعض الشيء لهذه المصطلحات، إيثارًا للدخول مباشرة في القضايا الرئيسة التي تدور حولها الدراسة.

وتتوزع مصطلحات الدراسة حول عدة محاور هي:

❖**المحور الأول :** مصطلحات خاصة بتوصيف المشهد السياسي.

(1) التخوين السياسي Political Impeachment :

مصدر قولهم: خان يخون، وهو مأخوذ من مادة(خ ون) الّتي تدلّ على التّنقّص، يقال: خانه يخونه خونا، وذلك نقصان الوفاء، وتخوّنني فلان أي تنقّصني، ونقيض الخيانة الأمانة، يقال خنت فلانا، وخنت أمانة فلان (القاموس المحيط، 2005). ويعرف الباحث التخوين في الدراسة الحالية بأنه "التخوين اتهام سياسي يجسد حالة اندفاع كل تيار سياسي إلى وصف التيار الآخر بانتهاك الالتزام المادي والمعنوي الخاص بالعمل على تحقيق المصلحة الوطنية، وكيل الاتهامات له بالتآمر والعمل لتحقيق أجندة لا علاقة لها بهذه المصلحة الوطنية".

(2)إدانة الآخر Political condemnation :

تشير معاجم اللغة إلى معنى"الإدانة"،(ومصدرها: د ي ن) بأنه التجريم وإثبات التهمة. وهو" قرار الاتهام بالجرم أو الذنب "(عبد الغنى أبو العزم،)

والإدانة تبعًا لذلك لا تعني سوى:إلصاق التهمة وتثبيت الجرم والجناية والذنب على الطرف المدان، فضلاً عن التأكيد على استحقاقه للشجب والذم والاستنكار والجزاءات العقابية.

ويعرف الباحث مفهوم الإدانة اصطلاحيًا في الدراسة الحالية بأنه " إثبات تهمة الخيانة بفصيل سياسي ما والتأكيد على استحقاقه الإقصاء والتنكيل والتشويه ماديًا كان أو معنويًا، والاندفاع باتجاه تحويل الإدانة السياسية إلى إدانة جنائية بتجميع الآدلة والشواهد والقرائن المثبت لفعل التآمر والخيانة السياسية والفساد السياسي".

❖**المحور الثاني:** مصطلحات تمثل ميكانيزمات تشكيل التخوين والإدانة [1].

(1) الدهاء السياسي Political finesse:

يشير مصطلح الدهاء لغويا الى العقل والفطنة، والرجل الداهية رجل ذو مَكْرٍ واحْتِيالٍ، ولكن كثيرًا ما كان مفهوم الدهاء يتضمن المكر والخديعة والمرواغة واستغلال الآخرين (محمد العبودي، 2012).

والمجال الرئيسي لتضمين فعاليات الدهاء فيما يفيد(حسن تركماني، 2000) عادة ما يكون مجال الحرب، وبالتالي فإضافة وصف "السياسي" للدهاء، يشير إلى ما يصح تسميته بظاهرة الاحتراب السياسي المعاصر الذي تمارسه ميلشيات العمل السياسي **Political militia** وما تستلزمه من تسلح وتوظيف واستثمار مشتملات الدهاء كمرٍ واحتيالٍ وخديعة ومراوغة واستغلال الآخرين انتصارًا لرؤية سياسية معينة، وبناء عليه يعرف الباحث الدهاء السياسي في الدراسة الحالية بأنه "إعمال العقل لتشويه صورة الآخر السياسي وإقصاءه واغتياله معنويًا بتوظيف آليات المكر والاحتيال والخديعة والمرواغة والاستغلال".

(2)الاختلاق السياسي Political fabrication :

[1] استمثار وتوظيف المضامين الدلالية بفعل مجسد لمشتملات التخوين والإدانة.

يتبنى الباحث تعريف(Carson,2006,PP.284-309)لمفهوم الاختلاق السياسي بوصفه نوعًا سافرًا من الكذب السياسي المرتكز على اختلاق وقائع لا أساس لها من الصحة ونسبتها إلى الآخر السياسي لتشويهه واغتياله معنويًا، واستهداف تضليل الناس وإقناعهم بصحة هذه الوقائع لصرفهم عن هذا الآخر السياسي وتخليق حالة كراهية عامة له .

(3)الخبث السياسي Political Slyness:

التسلح بمقولة أدولف هتلر وتفعيل دلالاتها سلوكيًا في مجال الممارسة للفعل السياسي " إذا أردت السيطرة على الناس، أخبرهم أنهم معرضون للخطر، ثم حذرهم أن أمنهم تحت التهديد، ثم خوّن معارضيك وشكك في ولائهم ووطنيتهم"؛ والخبث السياسي ملمح رئيس للشخصية المهووسة بالسيطرة بُطرق مختلفة!قد يكون من بينها تشتيت العقليات ليسهل السيطرة عليها والتحكم في تفكيرها بتدبير سياسي وظيفي في إطار الغاية تبرر الوسيلة، وبالتالي يمكن القول بفرضية التلازم بين تخوين الآخر وإدانته والممارسات السلوكية للخبث السياسي.

العهر السياسي Political Prostitution:

يتردد مصطلح العهر السياسي في أدبيات علم النفس السياسي، وقد لا يتفهم الكثير مضامينه ودلالاته، وقد يعتبرونه مصطلحًا مبتذلاً لا وقائع سلوكية تثبته وقد يعتبرونه في أحسن الأحوال مرادفًا لمصطلح النفاق السياسي على الرغم من وضوح الفارق الدلالي بينهما، وما يود الباحث التأكيد عليه أن العهر السياسي "تعبير يستخدم كوحدة وصف لظاهرة التلون السياسي وينطبق على الشخصيات السياسية القابلة للتأجير السياسي بالسماح للآخرين باستغلالهم واسترقاقهم إراديًا بالانتقال في المربعات السياسية المتناقضة وتسخير القلم والصوت تحقيقًا لمصلحة شخصية مدركة".

(4)الفُجْرُ السياسي Political Obscenity:

كلمة الفُجْرُobscenityمشتقة من كلمة لاتينية قديمة **Obspenus** وتستخدم لوصف الشخص الأحمق القذر الكريه الفاسد أخلاقيًا فاقد الحياء المتصف بالخسة المثير للاشمئزاز الفاحش المجاهر بالسوء بالقول أو العمل**(Dayal,2013)**.

ويرتبط مصطلح الفجر السياسي بالخصومة السياسية والاحتراب السياسي بتدبير سياسي مرتكز على المكايدة السياسية المستندة لأيديولوجيا سياسية لا علاقة لها بمنطق العمل السياسي وضروراته، وفي إطار ذلك يعرف الباحث الفُجْرُ السياسي بأنه "مستوى شديد من العهر السياسي بالمعنى المشار إليه مقترناً بتبجح وتعري أخلاقي قوامه الافتقاد للحياء،فضلاً عن المجاهرة بالسوء كحالة مجسدة للفجور في الخصومة السياسية، مع الاندفاع باتجاه شراء الذمم والمتاجرة بقضايا الهم الوطني دونما ضابط قيمي أو وازع من ضمير لتحقيق مآرب ذاتية لا علاقة لها بالهم الوطني الحقيقي".

❖**المحور الثالث: مصطلحات خاصة بالتفسير.**

(1) الثقافة السياسية Political Culture:

يتبنى الباحث تعريف محمد إسماعيل حكيمي الأفغاني **(2013)** للثقافة السياسية بوصفها "منظومة المعتقدات والرموز والقيم المحددة للكيفية التي يرى بها مجتمع معين الدور المناسب للحكومة وضوابط هذا الدور، والعلاقة المناسبة بين الحاكم والمحكوم، وتتحدد الثقافة السياسية وفقًا لعدة محكات تتمثل في: المرجعية، التوجه نحو العمل العام، التوجه نحو النظام السياسى ، والاحساس بالهوية ".

(2) الإيديولوجية السياسية Political Ideology :

يتبنى الباحث تعريف(صبري محمد خليل،**2008**)للايديولوجية السياسية "مجموعة الحلول النظرية للمشاكل التي يطرحها واقع معين مكاناً وزماناً والتي تتضمن الغايات البعيدة للعمل السياسي".

المحور الرابع: مصطلحات ذات علاقة بالحالة النفسية العامة المصاحبة والناتجةعن لواحق المشهد السياسي:البؤس النفسي،التعري الأخلاقي،والتعري النفسي.

(1)البؤس النفسي Psychological Misery :

البؤس النفسي"حالة تعاسة نفسية مقترنة بالضيق والتوتر النفسي والارتباك السلوكي المرتكز على افتقاد الشعور بالأمن النفسي وانسداد أفق الأمل في المستقبل"

(2)التعري الأخلاقي Moral Nudity:

يعرف الباحث التعري الأخلاقي بما يتسق مع الدراسة الحالية بأن " حالة من التجرد من أي قيمة إنسانية أو أخلاقية في مواجهة الآخر المختلف؛ بما يؤدي إلى الاندفاع باتجاه ظلم المخالف،والبغي عليه معنويًا أو ماديًا، والطعن في ذمته ونواياه، وتحميل قوله وأفعاله ما لا يحتمل إما بسبب سوء الفهم، أو بتعمد التفسير بما لا وجه له بأي من وجوه الاحتمال والدلالة، كل هذا من أجل الإساءة، أو الإزاحة والإعاقة والتشويه والاغتيال المعنوي."

(3)التعري النفسي Psychological Nudity :

يعرف الباحث التعري النفسي بما يتسق مع طبيعة الدراسة الحالية بأنه "تجرد الشخص من **الحياء** وتخليه خبثًا ودهاءًا إراديًا عن هويته ولونه الفكري والسياسي واندفاعه تعبيريًا عن رؤيته الذاتية دونما اعتبار لضابط قيمي أو أخلاقي مع تبجح ومجاهرة كاسرة لاحترام الذات والآخر والقيمة ".

المحور الخامس:مصطلحات خاصة بحالة التخلص من التخوين والإدانة مصطلح الأخلاق السياسية، والرشد السياسي:

(1)الأخلاق السياسية Political Moral:

يؤخذ في الدراسة الحالية بتعريف محدد للأخلاق السياسية كمحك تقييمي للفعل السياسي الحال، وآلية تصويب لمساره ووجهته مفاده أن الأخلاق

السياسية "مجموعة القيم والمبادئ الإنسانية التي تقوم بمهمة ضبط وتنظيم التدبير السياسي وتوجيهه نحو غايات إنسانية إيجابية تستهدف ترقية نوعية الحياة في المجتمع".

(2)الرشد السياسي Political Rationality:

يدور مفهوم الرشد كمصطلح لغوي حول إضفاء صفة الحكمة والعقلانية في السلوك والتصرف، والرشد في اللغة إصابة وجه الأمر والطريق. والرشد مضاد السفه وبالتالي يعني حسن التصرف والتدبير في مقابل خفة الرأي وضعف التدبير؛ وبالتالي يقصد بالرشد السياسي"إعمال العقل بحكمة بالتوظيف الإيجابي لأدوات وآليات التدبير السياسي تحقيقًا لغايات إنسانية ذات علاقة مباشرة بترقية نوعية الحياة وتجويدها في المجتمع دون استهداف غايات ذاتية قصيرة الأجل وبدون إقصاء الآخر أواغتياله معنويًا".

والرشد السياسي مضاد للغباء السياسي؛لكونه يغلق الباب أمامه بتدبير سياسي عقلاني وموضوعي يُمَكِنُ من التأسيس لثقافة سياسية مضادة للمفردات السياسية الخبيثة التي تلتحف عناوين التكفير والتخوين السياسي وتُبْعِدُ المجتمع عن العنف والكراهية والإقصاء.

(3)الطهر الأخلاقي Moral Purity:

وهو مضاد للتعري الأخلاقي ويجسد حالة من الالتزام بالقيم الإنسانية في التعامل مع الآخر المختلفة،بما يؤدي إلى الاندفاع باتجاه إنصافه والعدل معه ماديًا ومعنويًا، وافتراض حسن النية في ذمته وتصرفاته، والعمل على إسداء النصح إليه بالحسنى وتقبل الاختلاف معه برحابة صدر، ومجادلته بالتي هي أحسن".

(4)النبل الإنساني Human Nobility:

يعرف الباحث النبل الإنساني بما يتسق مع طبيعة الدراسة الحالية بأنه " مجموعة من القيم الإنسانية الدافعة للشخص إلى الارتقاء والسمو بأقواله

وأفعاله عن البذاءة وسوء الخلق،والتمتع بحس وذوق إنساني في إدارة خلافاته مع الآخرين".

ومن يتمتع بمستوى مرتفع من النبل الإنساني هو ذلك الشخص الذي يسعى جاهدًا لتحقيق أهداف سامية بتجرد تام من الهوى الذاتي وبوسائل أخلاقية تستهدف تجويد نوعية حياة الآخرين وترقيتها.

(5)التسامح الإنساني Human Forgiveness:

يعتبر التسامح أحد المبادئ الإنسانية وما نعنيه هنا هو مبدأ التسامح الإنساني كما أن التسامح يعني نسيان الماضي المؤلم بكامل إرادتنا ، وهو أيضاً التخلي عن رغبتنا في إيذاء الآخرين لأي سبب قد حدث في الماضي وهو رغبة قوية في أن نفتح أعيننا لرؤية مزايا الناس بدلا من أن نحكم عليهم ونحاكمهم أو ندين أحد منهم في إطار التسليم بأن آراء الآخرين وأفكارهم وتصوراتهم محل تقدير واحترام وتمثل إغناءً للحقيقة الكاملة(**عاطف علبي، 2003**).

<u>افتراضات الدراسة:</u>

تنطلق الدراسة الحالية من مجموعة من الافتراضات التي تمثل من وجهة نظر الباحث ضوابط عامة للتأمل والتحليل والمعالجة خاصة في ظل حالة الالتباس والهوى داخل النخبة السياسية المصرية:

(1) من غير الجائز على الإطلاق في مجتمع يؤسس لدولة مندفعة باتجاه إحداث نقلة نوعية إيجابية في حياته على مستوى التفكير والانفعال والفعل أن يلجأ البعض فيه إلى التخندق الاختزالي على أساس الدين، وتحويله إلى ما يصح تسميته تدين سياسي؛لأن الاشتغال بالتَّدين السِّياسيّ القائم على التَّغلب والمغالبة، يجلب استبدادًا طاغيًا، وتضييقًا منظَّمًا، وتشنيعًا مكثَّفًا داخليًّا وخارجيًّا، وذلك أن القلوب مجبولةٌ على حبِّ الرِّئاسة، ومهيأة للتَّنازع على السُّلطة بكلِّ الوسائل التي تحقِّق التَّغلب والتَّحكم (محمد زاهد كامل جول،**2012**).

(2) من غير الجائز على الإطلاق في مجتمع يؤسس لدولة مندفعة باتجاه إحداث نقلة نوعية إيجابية في حياته على مستوى التفكير والانفعال والفعل أن يلجأ البعض فيه إلى التخندق الاختزالي في خندق الاندفاع نحو علمنة الحياة تحت دعوى التحرر والانفتاح، مع نسيان خصوصية الحالة والظرف والسياق والهوية والمصير.

(3) من غير الجائز على الإطلاق في مجتمع يؤسس لدولة مندفعة باتجاه إحداث نقلة نوعية إيجابية في حياته على مستوى التفكير والانفعال والفعل أن يلجأ البعض فيه إلى التخندق الاختزالي داخل ثقافة الريع السياسي وهندسة الخريطة السياسية والتحالفات الحزبية على أرضية المحاصصة والتعامل مع الوطن والمصير كغنيمة موروثة آن وقت اقتسامها.

(4) من غير الجائز على الإطلاق في مجتمع يؤسس لدولة مندفعة باتجاه إحداث نقلة نوعية إيجابية في حياته على مستوى التفكير والانفعال والفعل أن يلجأ البعض إلى إحتضان الأحداث والظروف والتنكر للمبادئ والقوانين واستثمارها لتحقيق مصالح ذاتية آنية الإثمار، مهينة لسيرة ومصير وطن.

(5) السياسة تقتل الثقافة حين يزعم كل تيار بفصائله أنه يُمسك بناصية الحقيقة ويقبض على جمر القداسة، حين ينبري كل للتحليل في شؤون وشجون الحدث وتداعياته من غير علم ولا فهم ولا حيازة لثقافة سياسية تنير الطريق وتوضح معالم النفق المُظلم، الثقافة كممارسة بهذا المعنى تقتل كل مخزون ثقافي تم جمعه عبر عقود، بكلمة متهوّرة أو بموقف متعصّب أو بنزعة طائفية عمياء أو بتحليل في غير محله أو ردة فعل منافية للعقل والمنطق (معمر عطوي، 2012).

(6) السياسة كما تُمارس في الوقت الراهن تجسيد لحالة شديدة البؤس من الانسلاخ من الأخلاقية والاستقالة من الإنسانية، وهي بمثابة رقصة انتحار

أخلاقى، تجعل من يمارسها يعتنق عقيدة سياسية فاسدة ، تقوم على إباحة الكذب ووصوله حدود نهش الأعراض وإغماد سكاكين الوضاعة الإنسانية فى الأجساد والأكباد واستحلال التزييف، باعتبارهما سلاحين فى حـــرب لإسقاط الآخر، وإبادتة واجتثاثه معنويًا أو واقعيًا (وائل قنديل، 2013).

(7) ظاهرة النفاق السياسي الذي يعوق تطور المجتمع بما هو تزييف الواقع الاجتماعي ومشكلاته بالكذب في الاخبار عن المعرفة بهـــذه المشـــاكل، وتزوير الحلول الممكنة لهذه المشاكل بالكذب عن الآراء التـــي تتضـــمن حلول هذه المشاكل، وارباك العمل الاجتماعي بالكذب عن المقدرة علـــى العمل لم يعد لها محل من الإعراب في ظل واقع الحال المهـــدد للـــوطن وللمصير، بما يستوجب من القوى السياسي الارتفاع إلى مستوى الحـــدث بدلاً من الرقص الانفعالي طربًا على جثة وطن يدعون أنه يعيش فيهم.

(8) أي دولة لها هوية حضارية تمثل قيم المجتمع ولغته وثقافته، تكون بمثابة البوتقة التي تنصهر فيها جميع طوائفه وفئاته ولابد من احترامها. فإذا كان فصل الدين عن السلطة ضرورة حسب رؤي التيارات العلمانية، حتى لا يقول شخص باستحالة الحكم باسم الدين، فإن فصل الدين عـــن المجتمـــع وسلخه عن هويته وصولاً إلى القطيعة المعرفية الكاملة معهـــا جريمـــة كبرى.

منهج الدراسة وإجراءتها :

يمكن القول إن «المسكوت عنه»أو غير المعبر عنه فى الصراع السياســـى الراهن هو أن**التخوين والإدانة كظاهرة سيكولوجية** عنصر فاعل في تشـــكيل الواقع السياسي الحال بكل تعقيداته وعبثيته.

وفي هذه الأيام التي نعيشها، حيث يختلط حابل الثـــورات العربيـــة بنابـــل المؤامرات الدولية، ويمتزج الصراع على المصالح والنفوذ برائحة الحقد والغل والانتهازية على حساب الوطن مفهومًا وحالةً ومآلاً، يجد الباحث نفســـه فـــي

مركب انفعالي ضاغط يدفعه باتجـــاه **التأمـــل والتـــدبر والتحليـــل والتفكيـــر والتمحيص والاستبصار**؛ ليحاول إعادة فهم تركيبة مخّه التي بدت عاجزة عن الإحاطة بالتفصيل الجزئية بالغة التعقيد وبالغة الشمول لأبعاد الحياة.

وبالتالي يقّرُ الباحث هكذا دون خجل أن الدراسة الحالية ليست بحثًا أكاديميًا تقليديًا بالمعنى المتعارف عليه ولا مناقشة وتحليل محكومًا بشروط المعالجات الرياضية الإحصائية المعروفة،بل هي أقرب إلى الاحتماء بآليات منهج البحث الكيفي وفنيته الرئيسية المتمثلة في المعايشة واعتبار الباحـــث نفســـه جـــزءًا مندمجًا عضويًا في الحدث بنية ومتنًا ومسارًا،فضلاً عن صعوبة عزله لتكوينه وانحيازاته المعرفية في المعالجة والتحليل،بل وصعوبة عزلـــه لحالـــة تألمـــه الانفعالي وإبعاده عن **تأملاته** الخاصة بالتفسير.

ويحاول الباحث خلال مسار التناول وضع حالة العبث السياســـي والبـــؤس النفسي الذي أصبح عنوان الحياة في الوقت الحـــالي علـــى مشـــرحة التأمـــل والتحليل؛باعتبارها من أهم المصاحبات النفسية للمشهد السياســـي المرتبـــك، لاكتشاف ما بين مكوناتها من تداخل وتأثر وتأثير ينعكسان على صورة التحليل السكيوسياسي الذي يُخْرِجُ به دراسته.

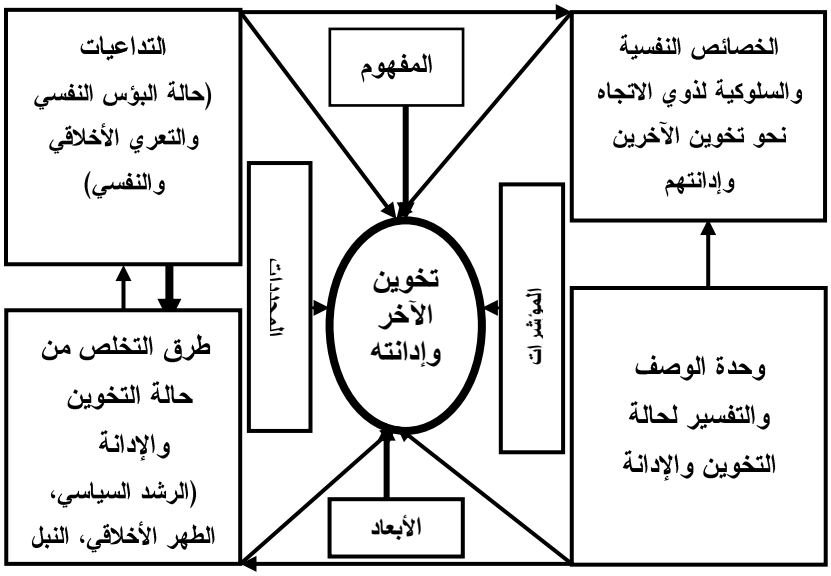

شكل (1) النموذج العام للدراسة. إعداد الباحث.

خطوات السير في الدراسة:

سارت الدراسة بعد الانتهاء من الإطار العام لها على النحو التالي:

- **الخطوة الأولى:** عالجت الأسس النظريَّة لمفهوم التخوين والإدانة في ضوء علاقته بالمفاهيم الأخرى، وتحديد بنيته وأبعاده وسماته وعوامل تكوينه.وانتظم الوصف والتحليل والتفسير حول العناصر التالية:

– أولاً: ماهية حالة التخوين والإدانة.

– ثانيًا: أبعاد مركب التخوين ــ الإدانة: تعريف، مؤشرات، وتداعيات.

– ثالثًا: سمات حالة التخوين والإدانة.

– رابعًا: محددات تكوين مركب التخوين ـــ الإدانة.

– خامسًا: الخصائص النفسية والسلوكية لذوي الاتجاه نحو التحوين ــ والإدانة.

– سادسًا: مركب التخوين والإدانة في المشهد السياسي المصري المعاصر.

- **الخطوة الثانية:** اختصت بوصف وتفسير حالة التخوين والإدانة من المنظور النفس سياسي في إطار نموذج ثلاثي للتفسير يتضمن بعد التيار السياسي والثقافة والإيديولوجية السياسية، والبطانة النفسية.
- **الخطوة الثالثة:** اختصت برصد المصاحبات النفسية وتداعيات حالة التخوين والإدانة في إطار فكرة البؤس النفسي والتعري الأخلاقي

والنفسي والاستعلائية النرجسية، ووصف طرق التخلص من هذه الحالة في إطار تصور نظري يتضمن مفاهيم: الأخلاق السياسية، الرشد السياسي، الطهر الأخلاقي، النبل الإنساني، والتسامح الإنساني .

وفيما يلي تناول تفصيلي لهذه الخطوات:

الخطوة الأولى: الأسس النظريَّة لمفهوم التخوين والإدانة.

أولاً:ماهية حالة التخوين والإدانة:

يتضمن مركب التخوين ـــــالإدانة حالة نفسية ذات أبعاد معرفية ووجدانية تعكس نفسية الاتهام والتجريح وهو عبارة عن اتهام سياسي يجسد حالة انـــدفاع كـــل تيار سياسي إلى وصف التيار الآخر بانتهاك الالتزام المادي والمعنوي الخاص بالعمل على تحقيق المصلحة الوطنية، وكيل الاتهامات لـــه بالتـــآمر والعمـــل لتحقيق أجندة لا علاقة لها بهذه المصلحة الوطنية،فضلاً عن استحقاقه الإقصاء والتنكيل والتشويه ماديًا كان أو معنويًا.

واشتقت كلمة التخوينimpeachmentمن كلمة لاتينية قديمة تعبر عن فكرة الوقوع في شرك الخيانة واستحقاق التوقيف والعقاب للاتهام بخيانة الأمانة **(Demeter,1962,P. 265).**

وبتطبيق هذا المعنى في المجال السياسي، يصبح التخوين السياسي إتهام تيار سياسي معين بخيانة الأمانة والعمل على تحقيق مآرب ذاتية باســـتخدام كافـــة الآليات والوسائل المشروعة وغير المشروعة والتركيز على تشـــويه الآخـــر واختلاق وقائع لإدانته وإقصاؤه عن المشهد السياسي.

ويمثل مركب التخوين – الإدانة تجسيدًا لظاهرة عربية بامتياز في الوقـــت الحاضر على نحو ما يشير جعفر الشايب(2013)لاندفاع كل التيارات السياســـية إلى **كيل الإتهامات باللاوطنية والتشكيك في الولاء جزافاً**، وبطريقة عشـــوائية بلا حسيب أو رقيب، وبلا رادع أو شعور بالمسئولية تجاه التبعـــات المترتبـــة على ذلك من أحاســـيس وآثـــار ســـلبية تضـــر بوحـــدة الـــوطن وتماســـك

المجتمعات،والتشكيك في الولاء للوطن التهمة التي يرمى أي تيار حال الاختلاف معه فكريًا أو سياسيًا أو مذهبيًا.

وتمر عملية التخوين- الإدانة السياسية بخمس مراحل متتالية تتمثل فيما يلي:

- **المرحلة الأولى:**

نشر معلومات وإدعاءات تستهدف تشويه الآخر ووصمه بفكرة التآمر والخيانة من خلال وسائل التضليل السياسي وما يلتحف به من دهاء ومكر وخبث وفجر وعهر سياسي دون وازع من ضمير أو ضابط من قيم.

-المرحلة الثانية :

الإلحاح والتكرار وتوسيع نطاق هذه المعلومات والإدعاءات عبر آليات النشر المختلفة لجعلها مادة حوار ونقاش لدى النخب ورجل الشارع العادي.

-المرحلة الثالثة :

التربص وتصيد الأخطاء وتضخميها والتركيز عليها بإلتقاط كل كلمة وكل تصرف للتيار المراد وصمة بالتخوين والإدانة وتحليله على أرضية المرحلة الأولى والثانية باختلاق وقائع مجانبة للحقيقة.

-المرحلة الرابعة :

الاتهام المباشر والإدانة الصريحة لهذا التيار بالخيانة والتآمر والفشل في التدبير السياسي والافتقاد إلى القدرة على التسيير الإداري ورسم صورة ذهنية مشوهة له، تجميع أدلة وشواهد يُدعَىَّ أنها تثبت هذا الاتهام والصورة الذهنية **المُرَوَجُ لها.**

-المرحلة الخامسة :

تثبيت الصورة الذهنية المشوهة لهذا التيار ونشرها بكل آليات النشر والترويج وإزكاء روح الكراهية له بهدف تهميشه وإقصائه واغتياله معنويًا وتأليب الناس عليه.

وينطبق الحال على المشهد السياسي المصري فيما بعد ثورة(25) يناير، فقد هبَّت عاصفةٌ عاتية من الاستقطاب النخبوي الحاد على المسرح السياسي المصري، بين التيارين الإسلامي والعلماني والليبرالي واليساري، بدت نذرها في معركة الاستفتاء على التعديلات الدستورية، التي خلّفت شقوقاً في البنيان الثوري، إلى أن بلغت العاصفة ذروتها في27 مايو(2011) أو ما يُعرف بجمعة تصحيح المسار،حيث جاء القصف الإعلامي المتبادل كأداة للحشد والتجنيد،وفقاً لآليات العنف الخطابي والهجاء السياسي، التي وصلت إلى مرحلة "التكفير الديني" الذي ووجه ب"التكفير الوطني". وينذر استمرار العاصفة بأن تتحول الشقوق إلى شروخ تصعب معالجتها فيما بعد، كما أنها تمثل ألغاماً في التربة السياسية، قد تنفجر لسبب أو آخر، وقد تقود إلى "حرب أهلية ثقافية" على حد تعبير(معتز بالله عبد الفتاح 2013) يتحول فيها الدين إلى ساحة للصراع السياسي والفكري، ويمثل مناخاً تروج فيها الاتهامات بالتخوين والإدانة بالتآمر واللاوطنية(مركز الجزيرة للدراسات، 2011).

ويترتب على الاندفاع إلى تخوين الآخر ـــ وإدانته فعل سئ تجاه ذلك الآخر نتيجة للشعور بالنقص، فعندما يكون الانسان ضعيفا لا يقدر على شئ فإنه يلجأ الى وسائل عدوانية كلامية يحاول فيها هذا الضعيف التقليل من قيمة غيره والتشويش على نجاحاته وإسقاط هيبته.

ويمكن اعتبار مركب التخوين ـــــ الإدانة عنواناً لحالة **الضعف والترهل** السياسي المعاصر، ودالة في جزء منه على ما يصح تسميته لعبة **الحسد السياسي** بين السياسيين فأصبحوا يشككون ببعضهم مما يشكل خطورة بالغة على السياسة العامة للبلد وعلى وضعه الأمني ويترك المجال مفتوحا لأعمال العنف والتخريب.

فبدلاً من التنافس الإيجابي في صياغة برامج تنموية خلاقة وواقعية، تستجيب للهموم الحقيقية لوطن مهدد في مصيره، يندفعون باتجاه مركب

التخوين ـــــ والإدانة لا شعوريًا لوقاية الذات من الاعتراف بالعجز والترهل السياسي"، وفتح سوقًا للنخاسة والسمسرة السياسية التي ترتكز على شراء الذمم والنفوس إيظهارًا لقوة متوهة واستغلالاً لعبيد العمل السياسي في تشويه الآخر واغتياله سياسيًا ومعنويًا

كما يرتبط مركب التخوين–الإدانة بما يجوز تسميته فلسفة **القطيعة مع الآخر وتصور استحالة التعايش معه**؛ وبالتالي الاندفاع باتجاه تشويهه بالانتقال من مربع النقد الموضوعي إلى التخوين وهو انتقال لا يقوم على أساس فكرى أو أخلاقي منضبط، ولا يحقق أى مصلحة للوطن (إبراهيم الهضيبي، **2012**).

وتشير(نادية عثمان مختار،**2011**) إلى أن تبنى ثقافة التخوين أمر يسوق تلقائياً لممارسة الفعل الشرير ابتداءً من الكيد سواء كان سياسياً أو شخصياً وحتى القتل؛لأن من تتملكه نزعة تخوين الآخر لا يترك في نفسه مساحة من الضوء لافتراض حسن النوايا ،ولا يعرف للتسامح دوربا ، وتجده دائم الشك في كل من حوله وحتى أقرب الناس إليه وحتى من يقف معه في ذات منصات مواقفه تجاه مجمل القضايا بمختلف مسمياتها .

كما أن ثقافة التخوين إطار عام يُمَكِّن متبنيها من استخدام سلاح القتل المعنوي واغتيال الشخصية بكل يسر ودون شعور **باللوم أو تأنيب الضمير**، ويمثل ذلك تجسيد لملمح رئيسي من ملامح الشخصية السيكوباتية، فضلاً عن أن الميل إلى فعل تخوين الآخر يمنح صاحبه إشارة المرور لممارسة كل أنواع القبح الإنساني وبأقذر الأسلحة الممنوع تداولها أخلاقيا وإنسانيًا.

كما أن مركب التخوين– الإدانة تجسيد على الأقل في جزء منه **للخبث السياسي** الهادف إلى إلهاء الآخر وصرف انتباهه عن القضايا ذات الأولوية وحصره دائمًا في خندق المدافع عن الذات واستزاف طاقته المعرفية في **التبرير** وإدخاله في حالة من الانشغال الدائم بتحسين صورة الذات على حساب المشروع السياسي الذي يتبناه، وهذه حالة شديدة الوضوح في إدارة حزب

الحرية والعدالة والأحزاب السياسية للتيار الإسلامي بصفة عامة ورموزه للنقد والتجرح والإتهامات الموجهة إليه.

ولهذا **الخبث السياسي** بعد آخر يتمثل في جر الآخر إلى رد الفعل الانفعالي المرتكز على الانتصار للذات وما قد يرتبط به من ترك العنان للتعبير اللفظي غير المنضبط، بما يصح تسميته فخ **التسميم الناعم**، ولا شك أن المؤشرات الدالة على وقوع مختلف التيارات في هذا الفخ أكثر من أن يحاط بها في الدراسة الحالية.

ويُعدُ التشكيك في **الكفاءة المعرفية والتخطيطية** للآخر من أهم آليات تضمين مركب ــ التخوين والإدانة سلوكيًا، ويتخذ التشكيك عدة صيغ من أبرزها:

•التشكيك انطلاقا من اختلاف المرجعيات[2] :

يبنى التشكيك المرتكز على تباين المرجعيات على عقلية **أحادية الرؤية One Mindedness** – تسلم ابتدءًا بأن نسقها المعرفي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن النسق المعرفي للآخر متهافتًا من حيث منطلقاته ورؤاه وتدابيره.

وبتطبيق مثل هذا النوع من التشكيك على المشهد السياسي المعاصر يجد المتابع نفسه أمام مرجعيتين أساسيتين تؤصلان لهذا النوع من التشكيك:

– الأولى مرجعية التيارات المدنية :

وتمثله نخب التوجه الليبرالي والتوجه العلماني والتوجهات اليسارية بصفة عامة، والتي تؤمن بقيم الحداثة والمدنية وتعتبرها ملاذًا وحل لكل إشكاليات التباين والموزاييك المجتمعي في إطار مفهوم دولة المواطنة، وبوضع برنامج

[2] تناول الباحث بالتفصيل بعد المرجعية كأحد أبعاد مكونات الثقافة السياسية للتيارات السياسية الرئيسية اللاعبة في المشهد السياسي المعاصر.

تحرري إنسانيًّا قائم على الحداثة، فالحداثة من وجهة نظرهم ملاذ **أيديولوجي** وفكري وجوهري، يعتبر المجتمع نفسه بموجبه مسؤولاً عن مصيره والإنسان المفرد صانع تاريخه ومحدد لوجهته ومساره.

وينظر أنصار هذه المرجعية إلى مرجعية الآخر المغاير خاصة مرجعية تيارات الإسلام السياسي بأنها مرجعية ماضوية لا سبيل إلى إنفاذ مضامينها إلا بالتنكر لقيم المدنية والحداثة والمواطنة وعزلة المجتمع وتشرنقه على ذاته وخروجه إراديًا من تيار التحضر الإنساني المعاصر، فضلاً عن تثبيت فكرة أن التيارات الإسلامية بكل تنوعها بدرجات متنوعة على الرغم من النفي الدائم من قبل هذه التيارات تنطلق في تدبيرها السياسي من ادعاء تمثيل(الله)وإسقاط القدسية على على أنفسهم؛ وبالتالي تأسيس نظام ثيوقراطي يساعدهم على إشاعة الانقسام بأسس دينية طائفية ومن ثم اختلاق حاجز الخوف بل الرعب من الآخر ما يجعل الإنسان المرعوب أسير من يوجهه بلا مقاومة فعلية (تيسير عبد الجبار الألوسي، **2012**).

- الثاني مرجعية التيارات الدينية:

ويمثله تنوع سياسي يلتحف بالرؤى الدينية لمفهوم الحياة والآخر والعالم، ويعتبرأنصاره أن الدين كل بفهمه النوعي الخاص الناظم الرئيس**للهوية المجتمعية** وأن مسار الحياة ووجهتها لا سبيل إلى تصويبها إلا بمنهجية حياة قوامها التسليم والإقرار والإنفاذ السلوكي لمخطط حياتي **Life Schema**حدد للإنسان مظهره الشخصي وتفسيراته لقضايا الوجود والمصير، ليقين أنصار هذه المرجعية بأنها ذات مدلول رسالي يعبر عن قيمة حضارية تمثل أسلوب الأنبياء والرسل في التبليغ والدعوة؛ وبالتالي أحقية هذا التيار في تقديم منهج الحياة السياسية للمجتمع وللطرف «الآخر».

وينظر أنصار هذه المرجعية إلى مرجعية الآخر المغاير خاصة مرجعية التيارات المدنية في أحسن التصورات على أنها مرجعية تكرس لأسلوب حياة

يتناقض مع الهوية الحقيقية للمجتمع،وفي أسوأها على أنهـا مرجعيـة سـوء وانحلال أخلاقي.

ومع التباين الشديد بين المرجعيتين يتأسس ما يمكن تسميته **بفلسفة النفـي المتبـادل**؛ وبالتالي الاندفاع باتجاه تفعيل مركب التخوين ــ الإدانـة وآليـات التعبير عن هذا النفي.

•التشكيك المتعالم:

ويجمع هذا النوع من التشكيك عددا مختلفا ومتنوعا من الكتاب والمفكـرين والنخب السياسية التي تتصدى للتحليل السياسي في هوس الفضاء الإعلامـي والمتسلحين بأنساق ميتافزيقية لا علاقة لها بواقع الحال لدى الإنسان العـادي مما يزيد ذلك الواقع إرباكًا وتعقيدًا.

لقد أخرجت ثقافة التشكيك مفهوم التعايش والتسامح وتقبل الآخر عن أسئلته الوجودية وإمكاناته الإنسانية والأخلاقية الحقيقية كحل لكـل أزمـة وكرسـم لابتسامة حياة على جبين الوطن وحولته إلى مجال ريبة وتـرحم، واسـتبداله بمركب التخوين– والإدانة.

ثانيًا: أبعاد مركب التخوين – الإدانة.

يمكن اعتبار أن انعدام وازع الثقة بين كافة الكيانات السياسية المصرية بفعل تنامي مظاهر التخوين والإقصاء والتهميش والتشكيك بينها، وصعوبة إعـادة بناء مجتمع ما بعد الثورة على أسس جديدة قوامها المواطنة والحس الـوطني بعيدا عن التخندق الاخنزالي داخل كيانات منفصلة من أهـم محـددات حالـة البؤس النفسي الحال بالمشهد الحياتي، وتأسيسًا على التحليل النظري الخـاص بماهية مركب التخوين والإدانة، تتجسد أبعاد مركب التخوين ــ الإدانة فيمـا يلي:

(1)الاستبداد المعرفي Epistemological dictatorship:

تعريفه :

الاستبداد لغةً "غرور المرء برأيه، والأنفة عن قبول النصيحة أو الاستقلال في الرأي وفي الحقوق المشتركة"(هناء البيضـــاني،2012، ص:10)، والاســـتبداد المعرفي وفقًا لذلك وفي إطار التدبير السياسي غرور شخص أوتيار أو فصيل سياسي برأيه والاعتقاد باحتكار المعرفة وامتلاك الحقيقة المطلقة، مع انـــدفاع تلقائي تشويه رؤى وتصورات الآخرين.

ويشكل الاستبداد المعرفي خاصة إذ ادُّعِيَّ استناده إلـــى بطانـــة دينيـــة أو توجهات نظرية لفكر سياسي أحادي الوجهة الأرضية التي تتخلق عليها العنف السياسي معنويًا كان أو ماديًا.

مؤشراته:

(أ)الغرور بالرأي والأنفة عن قبول النصيحة.

(ب)احتكار المعرفة وامتلاك الحقيقة والادعاء بكمال العلـــم بظـــاهر الأمـــور وباطنها أو هو تجسيد لحالة من إطلاق الذات ونسبية الآخر.

(ت)آراء الآخرين وأفكارهم لا تتضمن أي وجه من وجوه الحقيقة أو معنى من معاني الصحة.

(ث) الآخرون قاصرون يحتاجون إلى وصي أو عائل أو ولي أمر يقرر لهـــم ويتصرف في شؤونهم تصرف الوصي في شأن المحجور عليـــه عقـــلاً أو القاصر سناً.

تداعياته السياسية:

- **الفساد السياسي**،ومن بين صوره القفز إلى سدة الحكم قهـــرًا أو بآليـــات تزييف الوعي واستمثار حالة الفقر والأمية السياسية لدى بعض الشرائح، وزوال سيادة القانون، والحؤول دون المشاركة السياسية، ومركزية القرار والحكم،والقضاء على ذوي الحيثية داخل الدولة، وسيطرة بطانة الســـوء، وتبني آليات الدولة البوليسية،وقمع حرية الرأي (هناء البيضاني،2012).

– **الانفراد بإدارة شؤون المجتمع من قبل فرد أو مجموعة** عن طريق الاستحواذ والاستيلاء والسيطرة من دون وجه حق، مع استبعاد الآخرين ومصادرة مبدأ المساواة في حق المشاركة في إدارة شؤون الدولة والمجتمع.

(أ) تجديد آليات الاحتكار السياسي باحتواء وتحديث أدوات العنف وابتكار سياسات إقصاء الآخر معنوياً وإجباره على الانسحاب من الحياة العامة والتزام الصمت السلبي أو دفعه إلى الانشقاق والتآمر وبالتالي تشويهه بالاندفاع نحو تخوينه وإدانته(إسماعيل نوري الربيعي،2005).

(2) التضليل السياسي Politcal Misdirection & Misleading:

تعريفه:

التضليل بصفة عامة تغييبُ الحقيقة وطمسُها، وإظهار أمور مزيّفةٍ كاذبة على أنها هي الحقيقة.

وينظر إلى التضليل السياسي كاستراتيجية عامة تحيل مضامين الخبث والدهاء والفجر والعهر السياسي إلى ممارسات واقعية بتدابير سياسية على مستوى التلفيق والتزييف والكذب والتمويه والخداع بهدف تشويه الآخر واغتياله معنويًا وبالتالي اقصائه تمامًا من المشهد السياسي واستعداء الجميع عليه بإظهار تآمره على المصلحة الوطنية وعجزه عن تحقيق مشروعه السياسي، وإثبات التناقض في ما يصرح به وتدبيره السياسي، فضلاً عن التخويف والترهيب منه، ويفضي التضليل السياسي إلى التخوين والإدانة؛ إذ تقول الحكمة الصينية"أن الرغبة الملحة بالإدانة، تختلق أدلة التجريم ".

كما يعتمد التضليل السياسي على استباحة الدماغ الإنساني عبر عمليات غسيل الدماغ وعبر برمجة التفكير وتقنين تصرفاته، فضلاً عن استباحة المجموعات البشرية عبر استغلال نقاط ضعفها وحساسيتها تجاه قضايا معينة كي يتم توجيهها باتجاه معين(محمد أحمد النابلسي،1999).

ويُمارس التضليل السياسي كحقيقة واقعة في المشهد السياسي المعاصر وفقًا لآليات الدعاية والحرب النفسية ويتوسل في نجاحه بحيلتي **الإنكار Denial والتبرير Rationlization** أي إن التضليل يكون ناجحاً عندما يشعر المُضلَّلون بأن الأشياء هي على ما هي عليه من الوجهة الطبيعية والحتمية، وفقًا لدرجة الإحكام في تشويه وتزييف الواقع من خلال خلط الأفكار والخبرات والدوافع والصراعات التي تمثل تهديداً له، ويقوم مبدأ الإنكار على فكرة مؤداها أن الأفراد ينكرون الواقع ويتجاهلونه، أو يرفضون الاعتراف بوجود الخبرات غير السارة والتي يدركونها تماماً وذلك لحماية أنفسهم، وتدخل دائماً في عملية **خداع الذات**، أما آلية التبرير (ميكانيزم دفاعي) أيضاً، وهي عملية إعطاء أسباب مقبولة اجتماعياً للسلوك بغرض إخفاء الحقيقة عن الذات وتبريرها وترويجها للآخرون المستهدف تضليلهم(هربرت، ا، شيللر، **1999**، ص ص: **626-627**).

مؤشراته:

(أ) الإلهاء السياسي بتوظيف مختلف أنواع الحيل والمكائد لشغل الآخرين بموضوعات وقضايا مختلقة تبعدهم عن التفكير في قضايا الوجود والمصير.

(ب) التعويل على المؤسسات الإعلامية والقنوات الفضائية أو ما يعرف بالإعلام السياسي التضليليMisleading Political Mediaالذي تنصب غايته على صرف الانتباه عن عنصر الحقيقة في موضوع معين أو اخفائها عن الجمهور المستقبل ووسائله هي التلوين والرمز أو التقويم أو الاجتزاء في نقل المعلومات عن الحدث وعن سياسة معينة في ظرف زمني محدد أو الإلحاح على حدث معين ودوام التأكيد عليه وتحليله(أميرة عبدالله الجاف، **2013**)لترويج الأكاذيب واختلاق الوقائع لتشويه الآخر من خلال:

- عدم تقديم المعلومات إلى المتلقي كما هي.

- إجراء التعديلات في النص أو في الصورة بشكل مدروس ومنهجي مما يؤدي إلى تغيير في المفاهيم.
- إن هذا التعديل يهدف إلى خلق واقع جديد لا علاقة له بالواقع المتحقق فعلا، وذلك بهدف خدمة مصالح أو أغراض خاصة (ذياب الطائي، **2011**، ص: **48**).

(ت) استخدام بعض السياسيين لأي مظاهرة أو وقفة احتجاجية مهما كانت أسبابها أو دوافعها، لتحقيق مكاسب تتعلق بحزبه أو تياره أو جبهته، كأن يدعي على غير الحقيقة وهو الجالس في الفضائيات إن أنه لا سبيل من وقف هذه المظاهرات إلا التخلص من هذا التيار أو ذاك وإقصاؤه كداله لعجزه وفشل تدبيره السياسي .

تداعياته:

(أ) التأسيس لفكرة الطائفية السياسية،وإقرار ثقافة اللاتعايش واللاتقبل للآخر على المستوى السياسي مع كل ما يقترن بذلك من عنف معنوي ومادي.

(ب) القطيعة السياسية التامة، وادعاء الانفتاح على الآخر بقبول الحوار معه والإلتقاء به نوع من المكايدة السياسية هدفها نصب شرك لإيقاعه فيه والتربص به واصطياد أخطائه وتحميله مسئولية فشل الحوار أو رفض الحوار ابتدءًا.

(ت) تكوين عقل جمعي**Group Mind** من خلال تزييف الوعي وفقًا لآليات التضليل والصورة المشوهه للآخر، مما يُقِرُ مع تتابع ممارسات التضليل فكرة الطائفية السياسية المجتمعية وإرساء لمقولة "معنا أو ضدنا" مما يرتب كل ما يمكن تصوره من لا تسامح وعنف وإساءة.

(3)التكفير السياسي: Political expiatory

تعريفه:

اتهام شخص أو تيار أو فصيل سياسي بالجهل بضـــوابط وآليـــات التـــدبير السياسي، والحكم بخروجه وانحرافه عن معايير**الإدارة السياسية الرشيدة**؛ مما يستوجب الحجر عليه سياسيًا وفرض ما يصـــح **الوصـــاية السياســـية** عليـــه بالتفكير والتخطيط له بل والتدبير الحياتي العام له؛ وبالتالي إخراجه قهرًا من حيز فعاليات العمل السياسي.

ويتسلح المندفعون باتجاه التكفير السياسي بنهج تنظيمات التكفير الديني في سلوكهم، ويتوسلون بآلياتِه وقواعده وطبيعته مِن حيثُ الجمودُ العقائديُّ، التعصّبُ،التطرف،التشدّد،العنف،الاستبداد،الاستئثارُ وعدمُ قَـــبولِ الآخَـــر،إضافة إلى المحاكمات اللاشرعية التي يتم فيها مقاضاة الآخرين وفق عقلية ذلك التكفير.

كما أن التكفير سواء كان دينيًا أو سياسيًا إنما يندرج في سياق أيـــديولوجيا الحركات الأصولية، وفي صلب"ادعاء الحقيقة واحتكارها والتعصب لها،وينجم عنه رفض الآخر. وهو رفض يحمل دوما طابع النبذ، وبالتالي التكفير بوصفه أسهل الطرق لمقارعة الخصم"(عبد اللطيف الهرماسي،**2010**، ص:**76**).

والتكفير السياسي أشد خطورة من التكفير الديني ؛ لكونه أسوأ وأشنع وأكثر خطورة لأنه لا يجد ما يمنع تهوره إلى أقصى حد. فالآخر الذي لا يتوافق مع رأيي سياسياً هو «كافر» **وطنياً**! وقائمة أوصافه تمتد من خائن، إلى متآمر إلى دموي.

وما يجري في المشهد السياسي المصري المعاصر يشبه «المكارثية» مـــن حيث إطلاق أحكام على الآخر بالظن، والنية، والحكم عليه **بالإعدام الـــوطني.** فضلاً عن اعتباره إعلان القطيعة ورفض الحوار وعـــدم قبـــول رأي آخـــر وتحويل الاختلاف إلى خلاف والأسوأ من ذلك استدعاء الماضـــي وخلافاتـــه وتحويلها إلى صراع حالي محكوم عليه بطول الأمد، بل الاستعداد للتعاون مع الشيطان في الحرب ضد «الكافر» سياسياً.

ويؤكد هذا المعنى(عبد المحسن هلال،**1998**) بإشارته إلى أن خطر التكفير الوطني الذي يدفع اليه هؤلاء المثقفون أشد فتكاً وضرراً من التكفير الديني،فهو الـــذي يمزق أوصال الأمة الواحدة، ويجعلها أشلاء متناثرة لا سياج لها ولا إطـــار، نهب ذئاب جائعة مفترسة، تقتات من خبراتها وتمتص من ثرواتها بإسم الثقافة والتثقيف مرة، والتعليم والتعليب أخرى، بإســـم الإعـــلام والتـــدجين ثالثـــة، والإقتصاد والعولمة رابعة، وإلغاء الحدود خامسة، بإسم الإرهـــاب سادســـة، والإحتواء سابعة، أو الإستحواذ ثامنة، بفرقعة البوارج الحربية تاسعة، أو بإسم الصداقة عاشرة، وهي ممارسات تدوس على مقدرات الأمة وتستبيح في ذات الوقت كل إمكاناتها، ممارسات حولت الوطن الى بقرة حلوب ولود، وخيرها لا يكون إلا لبعض الجيوب.

والتكفير السياسي حالة منتجة لما يصح تسميته **التكفيـــر الـــوطني** بســـلب الشرعية عن الخصوم أو المتنافسين؛ لمجرد الاختلاف في الـــرأي؛ وبالتـــالي إتهامهم بالتآمر والارتباط بالعدو وخيانة الوطن، ويمثل التكفير الوطني بهـــذا المعنى صورة من صور إسقاط الانتماء والشرعية الوطنية(عماد الدين الرشيد **2009**).

مؤشراته :

يمكن رصد مؤشرات التكفير السياسي فيما يتعلق بالممارسات السياسية للمشهد السياسي فيما بعد ثورة 25 يناير على بعدين:

- **مؤشرات خاصة بتيارات الإسلام السياسي أو "التدين السياسي" :**

(أ)اعتبار التدبير السياسي لمثلث العَلمانية، الوطنية،القومية وأحياناً مسميات مؤسسات المجتمع المدني أمرًا مخالف في بنيته ومضمونه للهوية الدينية للمجتمع؛ إذ أن مفهوم الأمة هو المفهوم الشرعي الوحيد المتسق مع المنظور الديني للشأن السياسي.

(ب)اعتبار التدبير السياسي لمثلث العلمانية–اليسارية –الليبرالية تدبيرًا سياسيًا مهينًا لخصوصية الحالة ومستمرءًا للعبودية لنموذج حياة غربي قوامه التحرر من كل ضابط أخلاقي أو قيد قيمي.

- **مؤشرات خاصة بالتيارات المدنية (الليبرالية ــ اليسارية ــ العلمانية).**

(أ)اعتبار التدبير السياسي لتيارات الإسلام السياسي تدبيرًا يستهدف استعادة صورة ماضٍ لا سبيل إلى استعادته.

(ب)اعتبار التدبير السياسي لتيارات الإسلامي السياسي تدبيرًا خارج حدود الزمن ومضادًا للتقدم والارتقاء الحضاري.

(ت)اعتبار التدبير السياسي لتيارات الإسلامي السياسي تدبيرًا يرتكز على عقلية دوجماطيقية أحادية الرؤية والتوجه.

(ث)التدبيرالسياسي لتيارات الإسلامي السياسي تدبيرًا يُمكن للاستبداد والحاكمية باسم رجال الدين، ويسوق لثقافة القطيع والسمع والطاعة.

تداعياته:

(أ) إكراه الآخرين على القبول بما لا يعتقدون به ولا يتوافق مع تطلعاتهم أو مصالحهم أو طرائق تفكيرهم وطبائعهم.

(ب) وأدالتوجهات السياسية والفكرية للآخر الكافر سياسيًا وتناولها بالتشويه،وفي ذلك من الخطورة ما يتعذّر كَبْحُه عند استفحاله، فضلاً عن تخوينه والتشهير به وتأليب الآخرين عليه لتأديبه وتأديب غيره به (خالد جميل محمد،**2013**).

(ت) اعتماد عقلية الاستبدادي الشمولي الصلب الذي يرفض كلّ ما سِواه تأكيداً على انتهاجه طريقة كبح الفكر والنقد للإبقاء على زعم أن الحقيقة المطلقة مكتنزة في كنف الجهة المتسلّطة فحسبُ.

(ث) اعتماد عقلية التكفير السياسي آليات الإقناع القَسْريِّ، حتى إذا بلغ الأمر حدود الدم أو الاعتداء بأي شكل من الأشكال على مَن تمّ تكفيره. ومن الطبيعي أن الجهة التي لا تملك وسيلة إقناع سوى العنف بمختلف تصنيفاته لا أمل فيها لأن تكون على استعداد للتخلي عن فطرتها التكفيرية التي قد تهدأ سَورتها(بالسِّين المفتوحة) مؤقتاً لغاياتِ الديمومة

والاستمرار والانتشار والتبشير،إلا أن (الطبع يغلب التطبع) وتعود تلك الجهة إلى ما كانت عليه، من مبدأ أن المجتمع لا يمكن أن يخلـــو مـــن أشخاص أو فئات تعيش على التطرف وانتهاكات حقوق الآخرين.

(ج) التحجرَ، والانتقامَ من الآخَر وعدمَ قَبوله، وترويجَ الأضاليلِ والتُّرَّهاتِ، إضافة إلى المتاجرةِ بالأحداث والوقائع اليومية والوطنية.

(ح) الاجتهاد في «إقناع» الآخر بالقوة وليس بالفكرة وهذا يعنـــي صـــراعاً دموياً قابلاً للاستدعاء السياسي في أي وقت من المستقبل.

(4) التخوين السياسي Political Impeachment:

تعريفه:

تعدى مركب التخوين والإدانة مجال التكفير السياسي ليؤسس بالضـــرورة للتخوين السياسي، ليصبح مجسدًا لسياسة يصح تســـميتها سياســـة التخـــوين والإدانة كمنهج مدروس لاغتيال الآخر معنويًا وتشويهه وإقصاءه عن المشهد بصورة تامة، برميه بإتهامات نوعية لرسم صورة ذهنية مشوهة له.

والتخوين السياسي وفقًا لذلك اتهام فرد أو تيار سياسي أو حـــزب سياســـي **بعدم الولاء للوطن والتآمر عليه وتكفيره وطنيًا**، والعمل ضد مصـالحه بفعل سياسي يعمل على تقويض الأمن الوطني والاستقرار الحياتي.

مؤشراته:

يشير أحمد خليل خيرالله(2012)إلى أن للتخوين السياسي ثلاثة مظاهر أساسية تتمثل في:

(أ) التخوين من أجل الأشخاص لا من أجل المبادئ والأفكار.

(ب) المبالغة الشديدة فى النقد غير المبرر.

(ج) الإستمرار في التجريح والتشوية وإهانة الآخر.

إلا أن للتخوين السياسي مؤشرات أخرى يمكن رصدها فيما يلي:

(د) الاندفاع باتجاه التخوين السياسي لتيارات الإسلامي السياسي من قبيل التيار الليبرالي بالعمل وفقاً لمفهوم الأمة وليس مفهوم الوطن، ومفهوم الأمة مفهوم عقائدي يتجاوز حدود الوطن؛ وبالتالي كيل الاتهامات لحزب الحرية والعدالة وجماعة الإخوان المسلمين على سبيل اليقيم بأن ولائها للتنظيم وليس للوطن بتدبير سياسي تأمري والاستشهاد على ذلك بتحليل سياسي.

(هـ)الاندفاع باتجاه التخوين السياسي للتيارات الليبرالية والعلمانية واليسارية بالتآمر لاعلاء نموذج الحياة الغربية المجسد للقطيعة التامة مع التصور الإسلامي للحياة.

تداعياته :

(أ)إقرار سياسة التراشق بالألفاظ والسباب واللعن حتى ضجت الساحة بالتنافرات السياسية والشك غير المبرر، مع نسيان أهداف الفعل الثوري الحقيقية.

(ب)اتساع نطاق ظاهرة الاستغلال السياسي بامتلاء الساحة بالمتسلقين والمتزلفين ممن يحسبون كنشطاء أو حزبيين،أو غيرهم.

(ت)الانجراف العام لمعارك وهمية واقتتال كلامي على قضايا لا علاقة لها بالغايات الثورية الحقيقية.

(5) الاتهام والإدانة السياسية Political Accusation & condemnation:

تعريفه :

تجميع للشواهد والأدلة والقرائن التي تثبت أن تيارًا سياسيًا ما خائن ومتآمر وفاسد سياسيًا، والعمل على ترويجها بكل آليات الترويج لتنفذ إلى البنية العقلية لقطاعات عريضة في المجتمع بهدف التقليل من رصيده من الظهير الشعبي،

بل والعمل على تحويل الادانة السياسية إلى إدانة جنائية تستوجب الجـــزاءات الجنائية المعتبرة في القانون.

مؤشراته:

(أ) التربص وتصيد الأخطاء والإتجار بإدانة كل حادث أو وقائعة ونسبتها إلى الآخر دون سند واقعي بل وفق لتحليل وتأويل ذاتي.

(ب)اختلاق وقائع لا أصل واقعي لها ونسبتها إلـــى الآخـــر بغـــرض الكيـــد السياسي له.

(ت)استفزاز الآخر باتهامات التأمر والتكفير الوطني فـــي بغـــرض إلهائـــه وخندقته دائمًا في موقف المدافع عن نفسه.

تداعياته:

(أ)ممارسة الإرهاب غير المباشر كل ضد الآخر، بنحره عقليًا وتركه أســـيرًا مغيبًا فيه الاتجاه والمعرفة بالمحيط والواقع، فضلاً عن اضعاف توظيفـــه لعملياته العقلية في التدبير السياسي الرشيد.

(ب)إقرار مبدأ الغاية تبرر الوسيلة وإنفاذ مضامينه ســـلوكيًا بإتهـــام الآخـــر وإدانته وتجريمه بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة.

(ت)إقرار مشروعية التزييف وتشويه معالم الوعي الإنساني الفردي من خلال تأسيس انطباعات سلبية تجاه هذا التيار أو ذاك، وبالطبع يتطلـــب هـــذا العمل مهارات عالية وقدرات استثنائية خاصة للعبث بإحساسات ومشاعر الجماهير من خلال الإعلام المتنوع والمغريات المختلفة والمال الحرام ، فضلاً عن الاستثمار الخبث للنخب الكاريزمية فـــي الأحـــزاب أو فـــي المجتمع المدني أو من رجالات الفكر والثقافية يتم من خلالهـــا تســـويق الاتهامات والإدانات للآخر وتجريمه إلى الجماهير التي تتقبل هذه الأفكار بناء على تقبلها وحبها البريء للشخصية الكاريزمية سواء كانت دينية أو اجتماعية أو سياسية،وخاصة في مجتمع خرج للتو من نظام دكتـــاتوري

كانت مهمته زرع قيم الذل والخنوع والعبادة الفردية والاستسلام واستلاب إرادة المواطن لتحويله إلى رقم أصم يسهل حسابه بمختلف الاتجاهات دون معنى يذكر (عامر صالح، 2013).

(ث)اتهام وإدانة تيار سياسي ما بالخيانة والتآمر والتكفير الوطني وتأكيد ذلك بأدلة ووقائع حقيقية أو مزيفة عزف على أوتار انفعالات ومشاعر البشر تزكي فيهم روح الكراهية والعداء تحت واجهات متباينة تتخندق في كيانات متراصة أقرب إلى ثقافة وسلوك الحشد؛ مما يؤدي إلى التعصب والانحياز بدون تعقل إلى تيار ما ومعاداة تيار آخر.

(5)الإقصاء السياسي Political exclusion:

تعريفه:

تتصاعد نغمة الإقصاء الكلي للأخر في الوقت الحالي؛مما يمثل حالة القطيعة المعرفية والسلوكية التامة معه، ويقصد بالإقصاء عملية استبعاد الآخر من المشاركة الفعالة في المجتمع على مستوى التدبير السياسي؛بإدعاء قصر نظره السياسي وافتقاره إلى الجدارة والاقتدار السياسي، فضلاً عن انعدام فعاليته العامة في الوصف والفهم والتحيل والتفسير والتخطيط السياسي.

ويجسد الإقصاء السياسي ثقافة سياسية تمثل عاملا مساعدا لظهور التفاعلات ذات الطابع العنيف والممنهج، مما يحيل الإقصاء السياسي إلى " تمييز ضد بعض الأفراد أو الجماعات في المجالات السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، مما يؤثر في وضع هؤلاء الأفراد والجماعات داخل هيكل القوة المجتمعية." (مي محمد مجيب، 2011).

مؤشراته (سيد يوسف، 2006):

(أ)إثارة الجدل والخلافات، وتصيد الشبهات، وتضخيم الأخطاء وتجاهل الحسنات.

(ب) تهوين العظيم وتعظيم التوافه فتجد أحدهم يضخم أمرا خلافيا ويتجاوز الكلام عن مصاب الأمة والخطر المحدق الذى يتهددها وكأن هذه الأخطار هو غير معنى بها.

(ت)الحديث عن الأشخاص بالغمز واللمز دون الاهتمام بالأفكار التى تخدم الأمة .

(ث)الهدم لا البناء ، فأحدهم قضيته فى الحياة هدم ما يفعل الآخرون.

(ج)الاهتمام بالشكل على حساب المعنى وكم من شكل خلا من مضمون جيد.

(ح)دغدغة مشاعر العامة لاستمالتهم مستخدما مفردات وعبارات لا تحتملها مواقف الآخر وذلك بهدف هدم وتشويه وتقويض من لا يتفقون معهم فى رؤيتهم.

تداعياته:

(أ)لا يتم التهميش والإقصاء السياسي إلا بتدبير سياسي يعتمد استراتيجية وصم الآخر أو مفهوم الوصمة والوصمة لا ترتبط إلا بحكم القيمة تستهدف وضع المراد تهميشهم وإقصائهم مرتبة الدونية بإستمرار(الحبيب العايب، 2010)؛ وبالتالي التأسيس لفكرة الاحتراب السياسي بمؤشراته البادية للعيان.

(ب) التهميش والإقصاء القائم على الاعتقاد باحتكار الصواب وحيازة الخيرية؛وبالتالي تأسيس مفهوم الاستعلائية والأنفة من الآخر.

(ت) من أهم خصائص ثقافة التهميش والإقصاء أنها سريعة الغضب،وتتهم الآخرين في نياتهم، وترفض أي حق جاء به الآخر، وتشكك دوما في أفعال ومواقف الآخر، وترى نفسها أحق وأولى بالعمل من غيرها، بل ويسودها اعتبار الآخرين تجار سياسية يبحثون عن مصالحهم الذاتية ويهدرون المصالح العامة للأمة. ويتجمع أفراد هذه الثقافة على شكل شلل

تتجادل وفق ثقافة **التخوين والاستعداء والتشويه**"؛ وبالتالي التأسيس للعنف اللفظي والمادي كآلية لإدارة الخلاف.

(ث) الانصراف عن قضايا الوجود والمصير، واختلاق قضايا وهمية لا علاقة لها بالهم الحياتي اليومي، وجعل هذه القضايا بؤرة الجدل والاحتراب السياسي.

(ج)تجذر هواجس الفزع والهلع من الآخر ليصبح واقعا سيكولوجيا مسيطرا على الجميع يستحيل التخلص منه إلا بتهميشه وإقصائه من خلال التشويه ورميه بالخيانة والتآمر وإثبات عجزه وفشل تدبيره السياسي.

(ح)التأسيس لمناخ نفسي قوامه الخوف والحذر من الآخر، والتربص به لتصيد أي واقعة أو فكرة أن تصرف يمكن توظيفها في تشويهه وتخوينه.

وبالتالي يمكن تصوير أبعاد مركب التخوين والإدانة في الشكل التوضيحي التالي:

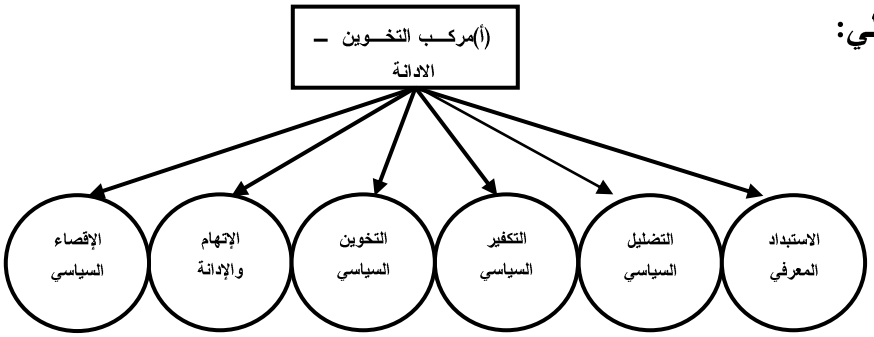

شكل (2) مركب تخوين ـــــ وإدانة الآخر في المشهد السياسي المصري

ثالثًا سمات حالة التخوين والإدانة :

يمكن تلمس السمات العامة لمركب التخوين ــ الإدانة بصفة إجمالية في النقاط التالية:

(1)الإصابة بعمى الألوان السياسية:

إذ لا قبول للتعددية، ولا نظر للآخر، بل نظر في مرآة الذات ورؤية للذات بنرجسية خيالية مفرطة كأن لا آخر ولا غير، وبالتالي فخنق صوت ذلك الآخر والقضاء عليه معنويًا أمرًا مبررًا (محمود السيد دغيم ،2012).

(2)التشويه وتدمير السمعة:

تأصيلاً لمبدأ إذا لم تكن معنا، فأنت إذن بالضرورة ضدنا، وإذا كنا يقينًا الأكثر فهمًا والأكثر دراية ببواطن الأمور فليس أمامك خيار إلا الانقياد والتسليم لنا، وإلا سنجعلك دائمًا تتخندق في خانة الدفاع عن الذات بتلغيم الأجواء من حولك وبتشويه متعمد لسمعتك، وقد يصلُ الأمر إلى استباحة الأعراض وشرف الناس بالدس سرًا وتمرير الشائعات.

(3)رد الفعل العاجز المرتكز على الشتم والتجريح :

فإذا وجه فصيل نقدًا موضوعيًا أو غير موضوعي لفصيل آخر فقاموس التُّهَمِ يعجُّ بمصطلحات هزيلة مُختَلَقة لا تتناسب مع مقاييس الأخلاق، ولا قِياس اللغة مَعْنىً أو اصطلاحاً جرَّاء الجهل الْمُطلَق الذي يسود طَوْطَمَ الذات حيث تَحِلُّ الغرائزُ البهيميّة مَحَلَّ العقلِ والْحِكمة والمنطق، وحقوق الإنسان.

كما أن إبداء أي اعتراض لمن يقومون على أمور التدبير والإدارة يستحق صاحبه أن يوصف بالخيانة فضلاً عن تهم فرعية ذات أصول وهمية شاذة لا تحظى بشرعية اجماع اجتماعي مُعْتَبَرٍ.

فعند الافتقاد للقدرة على الرد ومع استحكام حالة العدائية المتبادلة لا يصبح أمام الطرفين من سبيل سوى كيل السباب واللعنات والشتم والتجريح وممارسة هواية تمزيق أثواب الآخرين والدخول في حالة عامة من التعري الثقافي والقيمي والأخلاقي في كل مناسبة ظهور وهنا يستدعى الحال نظم قصيدة لرثاء أمة كان لها قيم قبرت مع فحش الحالة وبذاءة لسان التعبير.

(4)التربص واصطياد الأخطاء وتهويلها:

وتوظيفها لتشويه صورة الآخر وتفعيل سياسة(أنا لك بالمرصاد)؛ التي يتمسك بها كل طرف ضد قرارات وأطروحات ومنجزات الآخر.

(5)التآمر والسعي لإفساد العلاقة مع الآخرين والتحريض ضده:

ويتمثل في قيام أحد الأطراف، منفرداً أو بالتعاون مع طــرف أو أطــراف أخرى،بالتخطيط، إما لإلحاق الضرر بطرف مناوئ،أو على الأقل الحيلولة بينه وبين تحقيق أهداف قد تحرم الأطراف المتآمرة من مزايــا يتمتعــون بهــا،أو تفشل،على الأقل، خططهم لتحقيق تلك المزايا،وعلى هذا الأساس تخطط تلــك الأطراف المتآمرة لإفشال خطط المتآمر عليه وحرمانه فرصة تحقيق أهدافــه. ولا يخضع مثل هذا النوع من التآمر لأية قيم أو معايير أخلاقية.

(6)الاتجار بالأحداث والمصائب:

وتميز هذه الخاصية من ينتهزون وقوع أحداث معينة بغية تحقيــق كســب سياسي،أو تصفية حسابات، أو الإمعان في العداوة. بإلباسها فكــرة التآمريــة والتدبير المسبق من قبل من توجه له اتهامات بتدبيرها لتشويهه وإدانته دونما تدبر أو انتظار لتتكشف الصورة الإجمالية.

(7)تسويق الوهم :

تشير(**Franssila, 2012,PP.40-42**) إلى هذا المعنى بوضوح تام من خلال تحليل الخطاب السياسي لنشطاء العمل السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية مــن منظور علم اللغة بإشارتها إلى أن المبدأ الرئيسي الذي ترتكز عليه الممارسات السياسية هي عملية التسويق ببعديها : البيع والشراء، وعادة ما يكون التأثير في الآخر وفقًا لإستراتيجية إجادة تسويق الوهم تحقيقًا لمكاسب سياسية، ويــتم توظيف هذه الإستراتيجية بصورة تامة أثناء الحملات الدعائية لوصف وشرح

المشروع الانتخابي بمخاطبة الجوانب الوجدانية في شخصية المستهدفين ضماناً لتأييدهم ولإثراء وتعميق حالة كراهية الأطراف الأخرى.

(8) الاعتماد على الشائعات وتخليقها وترويجها والتقييم المرتكز إليها كآلية تشويه واغتيال معنوي للآخر، بانتقاء وقائع وأحداث معينة لتأكيده وإقرارها.

(9) ازدراء الآخرين واحتقارهم وإهانتهم : **Contempt** حالة يتسم بها الفرد بالوقاحة والتغطرس والاستحقار والعصيان للانصياع لبعض الامور .

(ZARD, DOUGHERTY, BLOXOM & KOTSCH, 1974, PP.53-57)

رابعًا: محددات تكوين مركب التخوين ــ الإدانة.

تتعدد محددات تكوين مركب التخوين ــ الإدانة كوحدة وصف لعبثية المشهد السياسي المعاصر بين محددات سوسيولوجية ومحددات سيكولوجية ومحددات ذات علاقة مباشرة بالتحولات والتغيرات العالمية المعاصرة.

يطرح جعفر الشايب(2012)سؤالاً عاماً في محاولة لتحديد أسباب الاندفاع باتجاه مركب التخوين–الإدانة مفاده: لماذا يهرع البعض إلى إستخدام هذا الأسلوب المخزي والمنهج السقيم في التعامل مع فئات أومجموعات وطنية تختلف معه في النهج أو الأفكار أو المواقف السياسية؟

ويرى أن التشكيك في**الــولاء** ليست سوى عملية متداولة لحصار أي فرد أو مجموعة أو فئة مختلفة، حيث يسهل بذلك فصلها وإضعافها ثم ضربها، وذلك من خلال تجييش مختلف القوى السياسية والإجتماعية ضدها،وتشكل هذه الحالة في مضمونها خطراً حقيقيا على الجميع، تكمن مظاهره في بعدين مهمين :

– **الأول:**شعور الفرد أو التيار أو الفئة التي تتعرض للتشكيك في ولائها بالغبن والإقصاء والدونية وعدم المساواة،وما يمكن أن يترتب على ذلك ترسيخ للكراهية ورد فعل يزيد من الاندفاع المتبادل في التخوين ــ والإدانة.

– **الثاني:**تعطي هذه الحالة فرصاً مجانيةً للمتربصين من خـــارج الـــوطن لإستغلال هذه الثغرة والنفوذ من خلالها، واللعب بالجميع.

وسياسة تخوين الآخر وإدانته خيار سهل ومريح للذات وينتج عن محتـــوى التعليم الخالي من أدوات النقد والمحاججة والتفلسف،وما ارتبط بـــه مـــن حالـــة التجريف الثقافي والمعرفي، وانتشار الجهل بما يمثل ظروفاً مثاليـــة لمركـــب التخوين والتشكيك. وانقلاب المعايير الأخلاقية والسياسية والثقافية التي أصابت المجتمع المصري فى السنوات الماضية كانت نتائجه انفجار مجموعة هائلة من الحملات العدائية وإشعال " حرب الكل ضد الكل"، فما من فصيل أو جماعة أو تنظيم سياسي إلا ومتهم فى شرفه الوطني أو العقائدي أو ولائه للوطن وللدولة وقد أصابت هذه الحملة الجميع، مما يترتبم الاحتراب العـــام وتيـــبس الحالـــة السياسية ككل وسيطرة حالة من الضبابية على المستقبل.

ويورد إبراهيم البليهي(2007)الكثير من مؤشرات ما سمى في الدراسة الحالية بمركب التخوين– الإدانة ويعزوه إلى ظاهرة البؤس الأخلاقـــيMoral Misery القابضة في تصوره بتلابيها على المجتمعات العربية كدالة لثقافـــة الخـــوف والتنافر والتحاسد وما يرتبط بها من تمركز تام حول الذات وانـــدفاع للهـــدم المتبادل، فكل فرد وكل طرف يريد أن يكون هو وحده في الميـــدان ويغيظـــه بروز أية مؤسسة أخرى أو أي إنسان آخر، ليتأسس على أرضية هذه الثقافـــة علاقات اجتماعية متوترة ويشوبها الشك لأنها تقوم على الإخفـــاء والغمغمـــة وعدم الوضوح وتتسم بالتنافس الغادر والصراع الحـــاد والعـــداوة الشرســـة والحسد الدنيء وتبادل الكره الغليظ.

كما يمكن اعتبار مركب التخوين ــ الإدانة مجسدًا لحالة من **الغيرة النفسية** السلبية وهي حالة تميز بصورة عامة شخصية العربي فهو يريد أن ينفرد وحده بالاهتمام والمكانة شأنه شأن الطفل الذي يريد لنفسه كل شيء ولا يرضـــى أن ينال الأطفال الآخرون أي شيء.

أضف إلى ما تقدم أن تسليم كل تيار سياسي بنظرية المؤامرة **conspiracy theory** واعتقاده بأن التيار الآخر يتآمر على الدوام لاغتياله معنويًا وإقصائه وجوديًا من المشهد السياسي،يشي بغياب المنظومة العلمية الصحيحة في التفكير، التي تدرس الأسباب والنتائج بشكل دقيق مبني على الحقائق العلمية ومن شأن هذا الغياب أن يُغْرِقَ الجميع في دوامة فلك المؤامرة، وأن يبني أفكاره على التخيلات والأوهام والهواجس والاحتمالات والظنون في الآخر بدلاً من البحث عن أخطاء الذات.

وتكمن خطورة فكرة المؤامرة، في خلق جدار من الشك وعدم الثقة تجاه الغير، وتجعل من يعتقد بها يرتاب– بل يتوجس– من كل جديد،أو يتشكك في كل تطور، ويرى المؤامرة من وراء كل حدث أو واقعة، ويؤدي ذلك إلى تسميم العلاقة مع الآخر وإلى سيادة الاتجاه نحو الانغلاق والانكفاء على الذات،وغلبة روح عدم التسامح، والنظر إلى الآخرين من موقع الشك والريبة.

كما أن تسليم كل طرف بصحة نظرية التآمر عليه من قبل الطرف الآخر فيه:

أولاً:تسلح بما يمكن تسميته "استراتيجية الكلام الكبير"، بهدف الهروب من الواقع غير المرضى، من أجل إلهاء الشعوب عن أخطائهم وتعليقها "الآخر"، دون أن تعلن عن أخطائها السياسية التي وقعت فيها **(حاتم خاطر،2013، محمد عز العرب، 2004)**.

وثانيًا: تبرير التسلح باستراتيجية المواجهة المرتكزة على التشويه والعنف والتشنج والهستريا السلوكية المضادة بصراخ وعويل ودائرة خبيثة من التخوين والإدانة.

وكما يفضي الاستقطاب السياسي، الذي يتمادى فيه الجميع إلى تأصيل حالة من الاندفاع باتجاه التخوين والإدانة وصلت إلى بنية المجتمع، وأدت إلى تعميق حالة الاستقطاب في بنية المجتمع،فأصبح الاستقطاب السياسي استقطابًا

مجتمعيًّا. والمقصود بهذا أن التنافس وحتى الاستقطاب السياسي هو جزء من الممارسة التنافسية بين القوى السياسية،ولكن تحويل الاستقطاب من المستوى السياسي إلى المستوى الاجتماعي يعني أن حالة التنافس السياسي تحولت إلى حالة فراق اجتماعي وهو أمر يضر ببنية المجتمع (رفيق حبيب، 2011).

ويشير حمدي شعيب(2013)إلى مجموعة أخرى من العوامل التي أدت في مجملها إلى تخليق حالة ما سماه **الاستقطاب المجتمعي** وبروزها بشكل مخيف أدي في نهاية الأمر إلى استحكام أزمة التخوين والإدانة وتتمثل هذه العوامل فيما يلي:

(أ) أن أطراف حالة الاستقطاب المجتمعي بجميع مكوناتها؛ قد دخلا حلبة السياسة وهم لا يملكون رؤية لملء الفراغ السياسي الحال بعد انتهاء فعاليات الموجه الابتدائية للحدث الثوري.

(ب) غياب الثقة في نوايا كل طرف من الآخر.

(ج) وقوع الجميع في البحث عن الغنائم والمكاسب الشخصية.

(د)عدم الترفع عن الاستغراق في التمسك بالجذور الفكرية والقواعد الأيديولوجية التي تحرك كل الأطراف.

ويمكن عزو اندفاع الجميع باتجاه الغرق في مركب التخوين – الإدانة إلى ما يعرف **بالاتجاهات العصبية المتصلبة** والعلاقة مع الآخر،وتشير خلود السباعي(2010) إلى أن الاتجاهات المتصلبة أحد الميكانيزمات السيكومعرفية التي يمكن أن تطلعنا على جانب معين من العلاقة بالآخر المغاير، وذلك من خلال توضيحنا لمدى خطورة أبعاد التصلب، على العلاقات السيكواجتماعية بين الأفراد أو الجماعات، وبالتالي على سيرورة تطور الشعوب أو تقهقرها.

ويتعصب الشخص بحسب رؤية فرويد كي يحارب الشعور بانعدام الأمان، والخوف من الآخر والشعور بالعجز الذي لا يعترف به أو يتحمله، فضلاً عن أن ذوي الاتجاهات التعصبية ضد الآخر مسحورون بالقوة والسلطة والسيطرة

ما يجعلهم يفضلون اتّباع قائد يجسد لهم هذه الصورة المثالية التي تطمئنهم (منى فياض، **2013**).

وربما يقدم لنا هذا الوصف جانبًا من تفسير ظاهرة تخندق البعض حول شخص ما يرونه مخلصًا ومنقذًا وربما يصل بهم الحد إلى الانصياع التام إليه والائتمار بأمره في كل شاردة وواردة،وتخلقت على هذه الأرضية بعض الحركات مثل حركة (حازمون)، وربما فكرة السمع والطاعة في المنشط والمكره لدى جماعة الإخوان المسلمون وغيرها من الجماعات الحزبية التي يلتف أنصارها حول شخصٍ يعتبرونه رمزًا، ومن بداية صناعة الطاغية.

ولا يطال التعصب الأفراد العاديين فقط بل يطال وبقوة أشد ما يمكن تسميته تجاوزًا بالنخبة التي تتصدر المشهد السياسي المصري المعاصر فهم متعصبون وذوي مظهر سوي وساحرين تجاه الاصدقاء والمحيط فخارج هذه الدائرة يمكنهم التفكير بمنطق ولديهم الحس السليم في الأوقات العادية، لكنهم يصبحون عرضة للهذيان والجنون التعصبي عندما تُطال الجماعة أو الحزب الذي ينتمون اليه أو العقيدة السياسية التي يؤمنون بها أي تجريح أن نقد؛ وبالتالي تراهم مندفعون في استخدام آليات دفاع هستيرية نحو الهذيان العصابي بجمل وعبارات غير مفهومه وبمنحى تبريري لا يقبله أي عقل، وبتوجه هجومي إقصائي في الغالب، يتمترس بعباءة الوطن ومستقبله مع الدخول في موجه عنيفة من التسلط والإرهاب الفكري ضد الآخر المغاير.

والأكثر من ذلك استمراء ممارسة هذه اللعبة على مستويات متعددة؛ لانعدام القدرة على سماع ما يخالف قناعاتهم وإيديولوجياتهم؛ مما يدفعهم باتجاه تفضيل الغوص في الغلط على الاعتراف به كخطأ، لأنه في حال مواجهتهم للحقيقة، يخافون على المستوى اللاوعى من الشعور بالخجل أو التحقق من أنه اسُتغلّوا فيصبحون عندهم عدوانيون خاصة عند بروز تهديد يحمل خطر كسر واجهة يقينياتهم (منى فياض، **2013**).

وما يمكن أن يفضي إلى إثراء حالة التعصب هذه وسعًا وعمقًا، أن المتعصب لا يحلل الوقائع الحاصلة إلا إنطلاقًا من شبكة شديدة التبسيط وشديدة الاختزال، وعلى أرضية قناعاته واعتقاداته الإيديولوجية فقط، في أحادية رؤية تامة تصم أذنيه وتعمى بصره وبصيرته عن الرؤى الأخرى.

وتتعدد التفسيرات النفسية لهذه **الاتجاهات التعصبية**، إلا أن الأقرب إلى الدقة في التفسير ما ذهب إليه **(Asch,1987)** فيما يتعلق بتفسيره لظاهرة التعصب العام أن الفرد في مواجهة الآخر المغاير يفضل عادة الامتثال لجماعة مرجعية فعلية لها حتى ولو كان يشك في أنها على خطأ، وهذا ما يسمى الاستتباع وغالبًا ما تذوب الفردانية في الجماعة ليتمكن من مقاومة الضغوط الايديولوجية والأخلاقية لذلك الآخر المغاير ،فضلاً عن التزود بالشعور بالقوة والتفوق؛ وبالتالي ينغمس في إتباعية مطلقة للجماعة دونما تفكير أو تدبر، فضلاً عن وضوح طبيعة واتجاهات العلاقة بين الاتجاهات التعصبية وتكفير الآخر المغاير(العربي فرحاتي، **2011**).

كما يمكن عزو اندفاع الجميع باتجاه الغرق في مركب التخوين ــ الإدانة إلى سيطرة ما يشار إليه بعقلية **التسفيه والتربص** وتطرح إيمان عبد القدوسي **(2013)** توصيفًا لهذه الحالة تحت مسمى "صراع الحفر العميقة" وهذا ما يحدث فى مصر ما بعد الثورة، فكلما فتح الله على مجتهد مخلص بفكرة جديدة تسهم فى دفع سفينة الوطن للأمام، بعيدًا عن مأزقها الحالى، فإن الأبواق المتربصة وما أكثرها تسارع فى استلام الفكرة الوليدة، فتنتهك براءتها بسيل من التفسيرات المغرضةوتقلبها يمينًا وشمالاً حتى تهرسها تمامًا، ويضطر صاحبها أن ينسحب من المشهد حفاظًا على كرامته، وهكذا يتسيد المشهد بلطجية الأفكار الجاهزون بأسلحتهم المسنونة للتشريح والذبح؛ حفاظًا بكل تأكيد على تواجدهم وحدهم في المشهد السياسي إيمانًا بأن ظهور الآخر وبروزه انطفاء لجذوة شهرتهم الذاتية.

ويرتبط الاندفاع باتجاه الغرق في دوامة مركب التخوين والإدانة بما يصح تسميه **النرجسية الجماعية** كحالة من حالات اتساع نطاق عشق الذات والافتنان بها إلى عشق الجماعة المرجعية التي تنتمي إليها الذات والاستعداد التام للدفاع عنها بكل آليات الدفاع مع الإحساس بالعظمة والرغبة المستمرة في إرضاء الجماعة بالحصول على ما تريد حتى لو تضرر الآخرون من جراء ذلك.

وتعكس**النرجسية الجماعة** في طابعها الدافع للاستماتة في الدفاع عن الذات حالة من النظرة المثالية تدافع عن إحساس عميق بالضعف والفشل الفكري والاجتماعي وتحافظ على الإحساس الكاذب بالأفضلية، كما أن وجود اختلاف فكري أو اجتماعي أو مذهبي يفسر بشكل تلقائي على أنه تأكيد لصواب الطرف النرجسي وخطأ الطرف الآخر وبالتالي يحافظ الطرف النرجسي على إحساسه بالمثالية والعلو **(Millon, et al., 2004,PP.343-348)** .

ويعرض عبد السميع سيد أحمد **(2013)** لمفهوم النرجسية الجماعية في تصور إريك فروم إذ يشير إلى أن الموضع في الجماعة النرجسية ليس للفرد، بل الجماعة التي ينتمي إليها، ويمكن للفرد أن يكون واعيا تماما بها، ويعبر عنها بدون قيود، هناك التأكيد على موضوعات مثل وطني، أمتي، جماعتي عقيدتي، وهي الموضوعات التي تمثل المحور الذي تتجمع حوله الجماعة، وينال الموضوع التعظيم بطريقة ملحة دائمة، وهو أكثر الأوطان عظمة أو تحضرا أو أكثر الجماعات سموا أو نقاء، ولا يبدو هذا التعظيم ضربا من الجنون على الإطلاق، بل على العكس يبدو وكأنه تعبير عن الوطنية أو الولاء أو الإيمان، وهو يبدو كذلك شيئا حقيقيا وصادقا وعقلانيا كحكم قيمي،لأن الحقيقة والصدق والعقلانية شيء مستمد من الجماعة التي يشارك أعضاءها في مثل هذا الاعتقاد، وينجح الإجماع في تحويل التخيلات إلى واقع،لأن الواقع بالنسبة

لمعظم الناس يساوي الإجماع العام، وليس واقعا قائما على الامتحان العقلي والنقدي للأفكار والمعتقدات (Milgram,1977,P.171).

وللنرجسية الجماعية وظيفة هامة، فهي في المقام الأول تزيد من تماسك وانسجام الجماعة، وتجعل عملية الضبط داخلها أكثر يسرًا عن طريقة الانجذاب إلى الانحياز النرجسي، ثم هي بعد ذلك عنصر في غاية الأهمية لإشباع أعضاء الجماعة، خاصة بالنسبة لأولئك الضائعين في الحياة الذين يفتقدون الشعور بأن لهم قيمة في نظر الآخرين، حتى إن كان الواحد منهم يعاني أقصى درجة من البؤس النفسي، أقصى درجة من الفقر، وأقصى درجة من المهانة الاجتماعية، فإنه يجد تعويضا عن إحساسه ذلك ترجمته "أنا عضو في أحسن وأعظم الجماعات في الدنيا، أنا من هو في الواقع دودة أصبحت عملاقا من خلال انتمائي للجماعة"، وبالتالي تتفق درجة نرجسية الجماعة مع افتقاد الإشباع الحقيقي في الحياة، تلك الطبقات الاجتماعية التي تستمتع بالحياة على نحو أو آخر، هي بالضرورة أقل تعصبا، الان التعصب سمة لنرجسية الجماعة، أو بعبارة أخرى، هي اقل تعصبا من أبناء الطبقات الدنيا المحرومين ماديا وثقافيا، أولئك الذين يعيشون حياة تضج بالملل، وتفقد الأمل.

وقبضة النرجسية الجماعية أشد من قبضة النرجسية الفردية، فقد تخامر الشخص النرجسي بعض الشكوك عن صورته النرجسية الخاصة، أما من يستمد نرجسيته من الجماعة فلا شكوك لديه، إلا نرجسيته تشارك فيها الغالية التي تنتمي إليها، وفي حالة الصراع بين الجماعات، تزداد حدة النرجسية وتتصاعد إلى أقصى نقطة، ويشتد الإعجاب بالجماعة التي ينتمي إليها الفرد، ويزداد الحط من قيمة الجماعة المعارضة، جماعة الفرد الأخرى هي جماعة الفسق، والشر، والطاغوت.." ومن ينتمي إليها ليس من الآدميين في شيء ويستحق بالضرورة التشويه والتنكيل والإقصاء.

وتستند النرجسية الجماعية في الغالب إلى نوع آخر من النرجسية هو النرجسية العقلية **Cognitive narcissism** والتي تتضح في أبهى صورها في مشاعر القدرة المطلقة، والتفكير المتمركز على الذات، والميل إلى السيطرة على الآخرين بوساطة البراعة العقلية الفائقة مع إدعاء امتلاك الحقيقة المطلقة ووحدة الفهم التام لشئون التدبير السياسي والحياتي وسلب الآخر المغاير أي قدرة على الفهم ومن هنا تتولد مشاعر الاستعلاء والتكبير والاندفاع باتجاه تشويهه وإدانته بالغباء والرجعية.

ويمكن عزو ظاهرة الاندفاع باتجاه الاحتراب السياسي والتخوين والإدانة إلى ما يصح تسميته **الفقر الفكري والعجز الحركي في الميدان**، ويمكن توضيح هذا الأمر من خلال سيطرة التيار العلماني على مفاصل الدولة الثقافية، بينما انتشر التيار الإسلامي عبر أنسجة المجتمع، وتبادل الطرفان الاتهام فاتهم الأول الثاني بأنه يعاني "فقراً فكرياً"، فرد الثاني بأنه يعاني "عجزاً حركياً" **(أحمد طه، 2011)**.

هذه الحالة من التدافع والاحتراب الفكري والأيدلوجي، تبدو طبيعية في سياقها نتيجة الإصابة بالتصحر الثقافي والجفاف والتكلس الذي استطرق إلى البنيان الداخلي لكل تيار، وإذا بها بعد سقوطه تتحول من الجفاف إلى السيولة دفعة واحدة، ولكن الذي لا يبدو طبيعياً أن تطول هذه الحالة عن أمدها المعقول، أو يتحول التدافع إلى تناحر.

ويتعذر عزل مركب التخوين ـ الإدانة عن السياق الأرحب المخلق له والناظم لمساراته، خاصة السياق الثقافي العالمي المرتبط بالعولمة؛ إذ صاحب فكرة العولمة تغيرًا حادًا في أساليب الحياة على مستوى التفكير والانفعال والفعل، إذ يذكر أنتوني جيدنز **Giddens (2002)** أن اللايقين عنوان الحياة في ظل العولمة، فالعولمة لا تعني عند جيدنز التنافس العالمي الاقتصادي وحسب وإنما تعني تحولاً جارفًا في نسيج الحياة اليومية، ومع أن العولمة تغزو آفاق البنية

الاجتماعية وتخومها إلا أنها لا تحطمها، إذ تعمق لدى البعض الاندفاع الجارف للدفاع عن الهوية الثقافية الخاصة وإعادة تأسيسها وتقويتها بأصولية وماضوية غارقة في ماضويتها لتتأسس معها المناوشات والتخوين والإدانة لأنصار تيار العولمة، لتأتي ردة الفعل من أنصار هذا التيار بكيل اتهامات الرجعية والتخلف والعيش خارج إطار العصر.

وتفضي التغيرات المتسارعة وغير المنضبطة المصاحبة للعولمة، إلى مزيد من التفكك الاجتماعي والتنمية الاجتماعية السلبية التي يفتقد معها الإنسان إلى الشعور بالأمن النفسي وما يترتب عليه من اغتراب روحي وأخلاقي أهم ملامحه **إهانة الآخرين وتخوينه والتعامل مع بحذر وتوجس وريبة وتشكيك في نواياه وتمركزها نحو نوايا عدائية إقصائية**، فضلاً عن اعتبار المجتمع بمؤسساته ووحداته الاجتماعية مجرد منصة انطلاق للذاتية التامة وإثبات جدارتها واستحقاقها بكل المكتسبات ولو على حساب الآخر.

كما أن استمرار الحال في عالم العولمة على هذا النحو يسبب العزلة الاجتماعية ويفضي إلى نوعين معنويين من الموت: الموت الاجتماعي بالافتقاد لفكرة التراحم والتواد البنيوي، والموت النفسي بالشعور بالحرمان والافتقاد للأمن والسكينة والطمأنينة النفسية، فضلاً عن أن الخاصية الأساسية التي صاحبت العولمة وتزايدت في ظلها هي الاغتراب النفسي بكل دلالاته وأبعاده والبلادة النفسية العامة.

ويتابع آلفين توفلر(1990)تناول التحليل لتداعيات ظاهرة العولمة وفقًا لتصور ثلاثي الأبعاد يتمثل البعد الأول فيما أسماه **سرعة الزوال**، بينما يجسد البعد الثاني ما يشير إليه بمصطلح **الجدة**، في حين يدور البعد الثالث حول ما أطلق عليه بعد **التنوع**، ويرى أن التفاعل السلبي لهذه الأبعاد يفضي إلى وحدة التحليل الرئيسية التي استنتج منها التأثيرات السلبية للعولمة وهي ما أصله تحت عنوان "**صدمة المستقبل**" بوصفها في مبتدءها ونهايتها أزمة تكيف.

وفيما يتعلق ببعد سرعة الزوال يرى توفلر أنه آلية للتغير الاجتماعي تؤشر إلى تبدل علاقات الفرد مع عالم الأشياء فتصبح علاقات مؤقتة تزداد في قصرها يوماً بعد يوم، مثلما ستكون علاقته مع غيره علاقة **مقتضبة وجزئية وسطحية وقائمة على الانتهازية والاستثمار لأغراض شخصية بحتة.**

ومع بُعْد الجدَة يؤكد أن الفرد مستقبلاً سوف يكون غريباً في عالم من الغرباء في ظل اتساع مساحة **النفور النفسي والاستياء الانفعالي** من الآخر كل الآخر.

في حين يطرح بُعْد **التنوع** للفرد مجالاً للاختيار أكبر وأكبر حتى سيقع في ورطة تنوع مجالات الاختيار مع الافتقاد إلى وحدة التوجيه التي ترتكز على قيم التأصيل لكل ما هو سوي، وما ينجم عن ذلك من ارتباط بالمادي والسطحي والهامشي والنفعي والعمى عن رؤية الآخر.

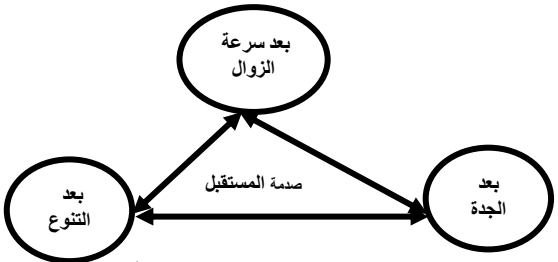

فإذا أضيف إلى جبروت العولمة كحركة لها تأثيراتها الذاتيـــة،ذلك **الهـــوس الإعلامي الفضائي والشبكي** وما نجم عنه من تداعيات لأمكن تفهم مـــن أيـــن تستمد ظاهرة التخوين والإدانة وقود إزكاءها وتوسيع نطاق فعاليتها،إذ أفضى هذا الهوس فيما هو ملاحظ إلى تخليق نظام اجتماعي توشك تقاليده وقيمه على التدهور بل التلاشى، ومما يزيد من تعقد المشهد وعبثيته هيمنة تقاليـــد وقـــيم بديلة تتمركز حول الفردانية المطلقة ليصبح لزامًا علـــى كـــل فـــرد التفكيـــر والانفعال المرتكز على قاعدة ماذا سأكسب من هذا القول أو الفعل؟ وهنا تفقد الجماعة أساس قويًا من أسس تكوينها وهو الشعور "بالنحن" حسب أدبيات علم النفس الاجتماعي.

فالخطاب الاعلامي في طابعة العام منخرط في حملة غير أخلاقية بـــالمرة ضد مجتمعه الوطني بصورة تنعكس سلباً على الثقة بالذات واحترام المجتمـــع الذي ينتمي إليه الفرقاء جميعاً. فقد سمعنا ورأينا من يستهين أو يحقـــر مـــن مكانة وسمعة وتقدير الآخر المغاير في الفكر والتوجه، والغريب أن هذا العوار الأخلاقي لم يصبح قاصرًا على من نسميهم خطأ بالنخب السياسية والفكريـــة، بل اتسع نطاق ليطال رجل الشارع العادي في حالة من التشرذم والانقسام تهدد فكرة الوطن ذاتها، وليصار إلى تصدير صورة مشوهه عن الوطن بصفة عامة أمام المجتمع الدولي، بما يصح معه القول أن ماكينة تشويه الســـمعة الفاعـــل الرئيسي في المشهد الإعلامي الراهن.

ويكفي إطلالة سريعة على البرامج الحوارية للفضائيات العربية ومنتـــديات التواصل الاجتماعي لتأكيد ظاهرة التخوين والإدانة، وتعود العين والأذن على

ما تتناوله هذه الآليات الإعلامية ربما يفضي إلى إحالة مضامينها ومحتواها إلى أسلوب حياة الإهانة والتجريح عنوانه وغايته.

وبإدارة الوجهة صوب بنية المجتمعات المخلقة لحالة التخوين والإدانة نجد أن وزارات الثقافة والإعلام والتربية والتعليم وزارات مختلة البنية والوظيفية وأنتجت قهرًا وجهلاً وتزويرًا وتخلفًا باديًا ومتجسدًا في سلوك منتجها البشري، بتوجهها نحو إعادة إنتاج الواقع بالصورة التي هو عليها دونما توجه لتصويب اعوجاجه أو الارتقاء بنوعية الحياة على مستوى التفكير والفعل والانفعال، فضلاً عن تمكينها لثقافة تمجيد الزعيم الملهم المنقذ هدية السماء إلى الأرض، ومن هنا أمكن التأكيد على اندفاع مثل هذه الوزارات في مسار "صناعة الطاغية" فالحق هو ما يقوله والبصيرة حكرًا حصريًا عليه، ونقده وإهانته جريمة دونها خرق القتاد كأني به سبًا للذات الإلهية حاشى لله.

وفي إطار هذا التوجه يأتي مركب النقد الجارف للآخر وإهانته وتحقيره وتخوينه وإدانته النتيجة الطبيعية في ظرف استثنائي شديد الخصوصية وتتجسد مؤشراته على مستويين يمثلان حالة الاستقطاب السياسي والمجتمعي الخانق:

- **المستوى الأول:**موجه لأنصار الأصولية والماضوية بالمعنى السابق، ويتمثل النقد من قبل الآخر بطبيعة الحال في أن أنصار الأصولية يبيعون **الحاضر والمستقبل** لماضٍ يتغنون بأمجاده ولا سبيل إلى استعادته مما يُجسد سيرًا في اتجاه معاكس للزمن.

- **المستوى الثاني:** موجه لأنصار العولمة والتوجه الليبرالي والمدني بشكل عام من قبل أنصار الفكر الأصولي وبقية التيارات الإسلامية، ومفاد هذا النقد أن أنصار العولمة والليبرالية يبيعون حاضرهم ومستقبلهم **لآخر مغاير هوية وتوجهًا في الحياة، ويتنكرون في نفس الوقت لماضيهم الحضاري ويسقطونه من حساباتهم،** وتعلوا نغمة هذا النقد بين الحين والآخر لتصل في أعلى تجلياتها إلى التكفير وما قد يستتبعه من إقصاء وإبادة.

ويتمترس أنصار هذا النقد تحت عباءة أن مناصروا العولمة والفكر الليبرالي مجسدون لحالة تبعية لآخر متوهم تفوقه، فضلاً عن حالة **استصغار الذات بوصفها عقدة متوارثة يجري تكريسها في الثقافة والممارسة اليومية، والنظر إلى الذات الفردية أو المجتمعية أو الوطنية،من زاوية الاستهانة والتصغير،وهي سمة قاتلة يشترك فيها كثيرون ويعممونها على الآخرين كنوع من الرخص المستميت في الدفاع عن الخطأ والسوء.**

ومن نافلة القول إن غالبية السياسيين اليوم لا ينحدرون من نخب أكاديمية حاصلة على تكوين مميز وثقافة عالية ومعظم الذين ينتجون خطابا سياسيا لا يحوزون على زاد علمي كافٍ في السياسة وإنما لهم خبرة في المناورة وافتكاك المواقع والهيمنة على مصادر القرار ويعتبرون أنفسهم غير محتاجين الى المطالعة وتثقيف أنفسهم لمخاطبة الجمهور.

وقد ترتب عن ذلك على نحوما يشير(زهير الخويلدي، **2013**)تلويث الحياة السياسية بممارسات غير ثورية وتوجهات إصلاحية وتنفير الناس من التحزب السياسي وتزييف الحقائق والتفنن في إطلاق الوعود الكاذبة وفي التنصل من طموحات الجماهير وتغطية الواقع بمعسول الكلام وجمل إنشائية رائعة وصور تخييلية مقرصنة من المدينة الفاضلة وجمهورية أفلاطون وغير قابلة للتحقيق.

وهكذا تعاني السياسة في هذا الزمن الانتقالي العصيب من مرضين أساسيين:

- **الأول:** هو نفور السياسيين من الحكمة العملية والأخلاق والالتزام وجنوحهم الى البراغماتية والميكيافيلية واستعمال السفسطة والمغالطة والكذب والقوة والتحريض على العنف واستغفال الجماهير واستبلاه العقول.
- **الثاني:** ابتعاد الناس عن الفكر الجديدة ونفورهم من التحليل الرصين والخطاب العقلاني والبحث العلمي واللغة الموضوعية والمشاريع غير المألوفة وكرهم التنظير والتوجه نحو الفكر المريض وتفضيلهم

الممارسة المباشرة واستهلاك البضاعة الصحفية المتداولة والرأي السائد وتلقي الخطاب المألوف وإيثار التحليل السهل الممتنع والتصور البسيط الساذج للأمور.

خامسًا:الخصائص النفسية والسلوكية لذوي الاتجاه نحو التخوين ـــ والإدانة

طرحت بعض التفسيرات لظاهرة الاندفاع نحو تشويه الآخرين واستغلالهم لتحقيق مآرب شخصية، منها ما يشير إليه**(Ashton, 2013, p.71)** أن الاندفاع نحو تشويه الآخرين والتعامل معهم بتجريدهم من صفة الإنسانية من خصائص الأشخاص ذوي الانخفاض الشديد في مستوى الأمانة والتواضع-**Honesty Humility** ومن مؤشراته السلوكية الميل الخديعة والاحتيال الجشع والشره والإدعاء والنفاق والصلف والتبجح **(Hodson,2013)**.

وتضيف تحليلات قدري حفني**(2013)** لخصائص الشخصية الفاشية مجموعة من الملامح يمكن اعتبارها ملامح عامة لشخصية المندفعين باتجاه مركب التخوين والإدانة، في إطار ثقافة العنف ومؤشراتها السلوكية والتي تتمثل فيما يلي:

- إنّ الآخر إمّا عميلٌ مأجور، أو ساذج جاهل فليس من المنطقيّ، أن يوجد شخصٌ عاقلٌ نزيه، يمكن أن يقبل بتلك الترّهات التي يقول بها الجانب الآخر.
- لم يعد الحوار مع الآخر مجديًا لقد استنزفنا معه كافة إمكانيات الحوار إنه لا يفهم إلّا لغة القوّة إنه البادئُ بالعدوان إن التفاهم معه لا يعني سوي الضعف و التخاذل.
- الآخر هو الخارج علي الأصول الصحيحة:الشرعيّة القانونيّة،الإسلام الصحيح،الاشتراكيّة الصحيحة،الليبرالية الصحيحة..الخ المهم، أنه هو الخارج دومًا عن الأصول، ونحن الملتزمون دومًا بتلك الأصول.

- الآخر لا يمثّل إلّا أقليّة، أمّا الغالبيّة، فإنها تتعاطف معنا بكل تأكيد وأيّة مؤشّرات تشير إلي غير ذلك فإنها –أيا كانت- مجرّد زيف.
- مهما قال الآخر، أو حتى فعل،لكي يوهمنا بأنّه قد تغير، فإنه يظل في جوهره كما هو.
- الآخر يريد لنا الاغتراب عن الواقع ، اندفاعًا إلي مستقبلٍ غريبٍ عنّا ، أو انسحابًا إلي ماضٍ سحيقٍ لم تعُد لنا علاقةٌ به.
- لا ينبغي أن نفرّق في مواجهتنا لهم بين "المفكّرين" و" المنفّذين"، أو بين" الموافقين" و" المعارضين" في صفوفهم، فكلهم أعداء بل ولعلّ ما يبدونه من تنوّع في المواقف ليس سوي نوع من الخديعة.
- ينبغي أن ننقّي صفوفنا من أولئك المتخاذلين الذين يدعون إلي حوارٍ مع أعدائنا إنّهم إمّا سُذّجٌ مضلّلون، أو عملاءٌ مندسّون، أو ضعافٌ ترعبهم المواجهة الشاملة.

ومن منظور علم النفس الاجتماعي يندفع الشخص إلى تخوين الآخر وإدانته وتشويهه واستغلاله نتيجة **عقلية نفسية قوامها الاستغلال** وتنطلق في تعاملاتها مع الآخر على:

- **التصنيف المرتكز على ثنائية" نحن في مقابل هم us versus them**

فمن ينتمي إلينا جدير بكل تقدير واحترام ومن ينتمي للآخر خليق بنا أن نستبعده ونهمشه ونغتاله معنويًا فهو ليس معنا إذن هو عدونا **(Brewer, 2003)**.

التباعد النفسي psychological distance

فمن السهل تجاهل مآسي وأزمات الآخرين وعدم الشعور بألامهم في حالة رفضهم والاستياء منهم والتباعد النفسي عنهم، وتشجع هذه الخاصية على الإقدام على إيذائهم وتشويههم دون الشعور بأي ذنب أو تأنيب للضمير **(Costello, Hodson, 2010)**.

- **اضطراب في الشعور بالمعاناة:**

ويعبر ذلك عن خاصية الخُدر النفسي وموت حاسة الشعور بمعاناة الآخرين وآلامهم، بما يفضي إلى إمانة التعاطف والتواد وبالتالي التوسع في التصـــنيف الاجتماعي المرتكز على ثنائية التفكير في نحن في مقابل هم (Slovic,2007,pp. 79-95).

ومن خصائص ذوي الاندفاع التقائي باتجاه مركب التخوين ـــــ الإدانـــة الانشغال التام بالأشخاص وتقويمهم وشخصنة المواقف لا تقييم الأفكار أو إنتاج أفكار جديدة، مما يؤدي على نحو ما يرى حازم نهار(2013) إلى تخليق حالـــة من المهاترات والتشهير والفضائحية.

ويرتبط هذه الاندفاع بالضحالة الفكرية والسياسية والنفسية، التي تدفع المرء، في محاولة لتغطية العجز الشخصي، نحو الذهاب باتجاه شتم الآخرين وتوجيه الاتهامات المختلفة لهم من دون سند أو دلائل.

فإذا أضيف إلى ذلك افتقاد مثل هذه الشخصية للتواضع ونظرته لنفسه كأنه قائد أو محرك للوقائع والأحداث، فيكون نتيجة ذلك أن لا أحد يقول كلمة طيبة بحق الآخر، وبالتالي نعجز جميعاً عن العمل معاً ونندفع باتجاه تخوين بعضنا البعض.

كما يمثل الافتقاد للشروط الموضوعية **للنقد**أحد أهم محددات الغـــرق فـــي مركب التخوين ـــالإدانة فالنقد فعل مسؤول يشترط وجود مبدئين متلازمـــين هما المعرفة والأخلاق، ومن دون هذين الشرطين يتحول النقد إلى حالة بائسة من شقاء الوعي والارتماء في فضاء التشويه والتجريح والتشكيك في النوايـــا والأفعال.

ويفضي اقتران الافتقـــاد للشـــروط الموضـــوعية للنقـــد بـــالتفكيرالمرتكز على**الانفعال** إلى تقييم الآخر بمستوى عالٍ من التوتر وعدم الاتزان، كما يأتي التقييم حاملاً لشحنة شخصية انفعالية عدائية، وأحياناً استعراضية، وهذه مأساة حقيقية تعبر عن شقاء الوعي وبؤسه.

وتمثل **أحادية الرؤية** فيما يفيد نجلاء محمد رسلان(2000)،قدري حفني(2013) خاصية يمكن نسبتها إلى ذوي الاتجاه للاندفاع نحو مركب التخوين ـــــ الإدانة لارتباطها بالاستبعاد والإقصاء وفعل التشويه، ولأحادية الرؤية كتركيب نفسي خمسة أبعاد يتناولها رشدي فام منصور وقدري حفني(1998) على النحو التالي:

أ- أحادية المدخلات: بمعنى أن الشخص الأحادى لا يرتضى إلا مصدرا واحدا يستقى معلوماته منه،ويمثل إطاره المرجعى الوحيد حتى لو ثبت له وجاهة المصادرالأخرى،وفى المقابل تعددية المدخلات أى تعددية المصادر التى يستقى منها الفرد معلوماته.

ب- الإطلاقية: وتمثل البعد الثانى من أبعاد مفهوم الأحادية وتتمثل فى ادعاء احتكار الحقيقة، بمعنى أن الذى له مدخل واحد لمصادر المعلومات يعتقد لدرجة اليقين أنه وحده الذى يمتلك ناصية الحقيقة ، كل الحقيقة ، وما عداه غير حقيقى.

جـ- التمامية:يقصد بها أنها ما دام الشخص الأحادى الإطلاقى يدعى أنه يمتلك الحقيقة إذن فليس هناك داع إلى تصحيح المسار لأنه لا يخطئ أبداً وهذا يمثل البعد الثالث من أبعاد الأحادية، ويتم تعريف التمامية إجرائياً بأنه "الدرجة التى يعبر بها الشخص عن مدى نظرته التمامية من حيث رفضه لتصحيح المسار".

د- استبعاد الأحادى للمتعدد:بمعنى أن الأحادى لا يطيق أن يخالفه أو يعارضه أحد فى رأى،وإذا فعل أحد ذلك فإنه يقصيه بدرجة أو بأخرى من درجات الإقصاء،والتى تتراوح فى حدها الأدنى من التجنب والتجاهل إلى حدها الأقصى المتمثل فى تصفيته جسدياً.

هـ- استبعاد المتعدد للأحادى:وهو يمثل البعد الثانى فى مقياس الإقصائية وهو على نقيض البعد الأول،أى لا يطيق المتعدد أن يملى الأحادى الرأى

عليه أو حتى يخالفه،وإذا فعل ذلك،فإنه يقصيه بشكل أو بآخر من أشـــكال الإقصاء.

ويُنظر إلى المندفعون باتجاه تخوين الآخر وإدانة من زاوية ما يصح تسميته سيكولوجية التخوين بأن لديهم دافعًا قويًا لتغطية الشعور بالنقص،كمـــا أنهـــم مصابون بعشق الذات وجنون العظمة للتأكيد على أنهـــم أشـــخاص مهمـــين ويقومون بأدوار أو أعمال مهمة ذات طابع وطني تستهدف تعريـــة وكشـــف الآخر إظهارًا بأنهم يخافون على مصلحة الوطن(وائل فاضل علي،**2011**).

كما أن الاندفاع باتجاه تخوين الآخر وإدانته ربما يجسد حيلة نفسية تستهدف حماية الذات لتصور أن إثبات الذات والحفاظ على المكانة والموقع لا يتأتي إلا بتشويه الآخر وإظهار معايبه وأوجه قصوره.

ومع استمراء مثل هذا الشخص للعبة التخوين ــ الإدانة يضعف لديه تأنيب الضمير وتتلاشي لديه ظاهرة **التنافر المعرفي** لتصبح ممارساته لهذه اللعبة دورًا حياتيًا روتينيًا بالنسبة له يترجمه دون تدبر أو تفكير في عواقبه حتى وإن كانت على حساب وجود ومصير الوطن.

سادسًا مركب التخوين والإدانة في المشهد السياسي المصري المعاصر:

يمكن الإدعاء أن عبثية المشهد السياسي المصري المعاصر دالة في جـــزء كبير منه لحالة التخندق الاختزالي للاعبين السياسين في تيارين رئيســـيين لا يمثلان معًا من وجهة نظر الباحث إلا أقل من(**10%**)من المجموع العام للشعب المصري، المنصرف غالبيته إلى قضايا الوجود والمصير اليـــومي الحيـــاتي دونما تعويل يذكر على أي من هذين التيارين.

- **التيار الأول:** اليمين الديني بمستوياته المختلفة وما ينضوي تحته من فصائل التدين السياسي،وهي تيارات يجمعها فكرة عامة مفادها فعل التأسيس لأمة وليس لوطن تؤصل لمفهوم الحاكمية لله وترسيم أسلوب حياة قوامه فهـــم خاص للدين لا مكان فيه للمعارضة أو التباين في الرأي والتفكيـــر بـــل

باستهداف استعادة ماضٍ للبطولة والنقاء الأخلاقي والطهر الروحي بكل آليات التأثير الوجداني وثقافة الكلام الكبير دونما اعتبار لعطاء الحاضر وتجليات المدنية والتجديد الحال في بنية الحضارة والعلم، ودنما امتلاك لرؤية وخطة استراتيجية حقيقية، مع تأكيد على وصف المعارض بالمجون والدعوة لحياة قوامها التحرر من كل ضابط قيمي أو أخلاقي.

والقضية الجوهرية التي تمثل ما يصح تسميته **بالفلسفة** الكامنة وراء اندفاع أنصار تيارات الإسلامي السياسي نحو تفعيل مضامين مركب التخوين ـــــ الإدانة والإنفاذ السلوكي لمضامينه هى قيامه أنصار هذه التيارات بالحديث بالنيابة عن الجماهير الاسلامية بأسرها من منطلق أنهم يمثل وجهة النظر الاسلامية السائدة، والوحيدة على نحو يلغي امكانية وجود تمثيل آخر إسلامي سواه.

ومن الطبيعي أن كل حزب سياسي ينضوي تحت هذه التيارات عليه أن يتصرف باعتباره الممثل الوحيد للأيديولوجية التي يتكلم باسمها، ولكن الامر يزداد صعوبة في حالة التيار الاسلامي لانه يريد احتكار تمثيل عقيده بأسرها وليس مجرد فكر سياسي.

وهذه ليست عقبة في وجه قبول التيار الاسلامي في حلبة التنافس الديمقراطي فقط وإنما هي القضية الرئيسية التي تفرغ عنها سائر العقبات والمخاوف. فالتيار الاسلامي كحزب سياسي ينافس على السلطة مثله مثل غيره، وله اتباع ومؤيدون كما أن له خصوم. والبرنامج الذي يطرحه يحتمل الاتفاق والاختلاف مثل أي برنامج سياسي.

ولكن التيار الاسلامي على وجه العموم لا يقبل بهذه الصفات المعتادة، بل يقدم نفسه باعتباره الممثل الوحيد لكل مسلم ومسلمة، أي لكل من يعتنق العقيدة، بغض النظر عن اعتناقه للفكر السياسي، ويترتب على هذا التصوير الخاطئ أن من يعترض على البرنامج السياسي الاسلامي، أو يطرح بديلا له،

لا يكون مجرد منافس في الحلبة السياسية،وإنما يصبح خارجا عن الدين، خارجا عن العقيدة. فيصبح تيارًا غير قابل لأبسط قواعد التنافس الديمقراطي، وهو أن يكون على قدم المساواة مع غيره من القوى السياسية المتنافسة وأن يقبل التصرف كأي حزب سياسي للسلطة، ولا ينصب نفسه ممثلا للعقيدة ومفسرا لها ومحتكرا لرايتها (زياد بهاء الدين، **1996**).

ويُدْرِجُ علماء السياسة التيارات الدينية في ممارساتها السياسية تحت عباءة اليمين المحافظ، ويشير **(Graham & Haidt,2007a, 2007b)** إلى أن المحافظين لديهم مجموعة واسعة من الأسس المتعلقة بما يعرف بالأحكام الأخلاقية أكثر من تلك التي يتبناها الليبراليون؛ وبالتالي يندفعون في الممارسة السياسية مُحَمَلُون بأحكام القيمة، وتتجاوز الأخلاق التي يتبناها أنصار اليمين المحافظ نطاق العرف الأخلاقي للتقاليد الليبرالية في الممارسة السياسية التي تركز بصورة أساسية على فكرة تجنب الضرر، والعدالة والإنصاف، لتركز على عوامل أخرى تتضمن الولاء للجماعة واحترام السلطة وصيانة ما يسمونه الطهر الأخلاقي للبشر.

وهذا فارق جوهري بين التيارين، فالأول يدعي حمايته للأخلاق العامة ويدافع عن فكرة نقائهم وطهرهم أخلاقيًا مقارنة بالآخرين، وبالتالي يعتبرون ممارساتهم السياسية جزءًا أساسيًا من رسالتهم الأخلاقية في الحياة؛ ومن هنا ربما تأتي فكرة الاستعلاء على الآخر كدالة لهذا الإدعاء، في حين يجسد التيار الثاني ما يصح تسميته قيم الحداثة والمدنية والمنادة بالحرية الفردية في التفكير والانفعال والفعل **(Jarudi,2009,PP.23-24)**.

- **التيار الثاني:** وهو يمثل موزاييك سياسي يختلط فيه اليمين الليبرالي باليسار الاشتراكي بالمدني العلماني، وعلى الرغم من أن وسع التباين بين مكونات هذا الموزاييك شاسع جدًا في الرؤية للحياة بصفة عامة وللنظام السياسي والاقتصادي بصفة خاصة، إلا أن القاسم المشترك فيما بين

هذه المكونات مجانبة الاستدعاء الديني في الشأن السياسي،ومجانبة استثمار النص الديني في التدبير السياسي،واستبعاده له باستعدائه وإعلان القطيعة عنه والهجوم عليه ورفض من يمثلونه ووصمهم بالتخلف والجمود الفكري وأحادية الرؤية، وتجريدهم بالضرورة من كل قدرة على التدبير السياسي الرشيد.

والقضية الجوهرية التي تمثل ما يصح تسميته **بالفلسفة** الكامنة وراء اندفاع أنصار التيارات الليبرالية واليسارية والعلمانية نحو تفعيل مضامين مركب التخوين –الإدانة والإنفاذ السلوكي لمضامينه حالة النرجسية المعرفية القابضة بتلابيبهم والدافعة لهم باتجاه ادعاء الحقيقة المطلقة والفهم التام للوقائع ومآلات الأمور،فضلاً عن إدعائهم بامتلاك أدوات التدبير السياسي الرشيد،وتجريد تيار الإسلامي السياسي من أي قدرة أو مهارة لهذا التدبير.

ويجمع التيارين المشار إليهما مسلمة "نحن يدٌ على من سوانا، أنا وأخي على ابن عمي، وأنا وابن عمي على الغريب"، ولا شك أن اليقين بهذه المسلمة يمثل ركيزة الدفع باتجاه الدخول في عمق مركب التخوين والإدانة،كما أن اليقين بالمسلمة السابقة يُنْبئُ في حالة نجاح تيار معين في إقصاء تيار آخر بصراع من نوع آخر يصبح بموجبه حلفاء الأمس أعداء اليوم وينتقل مركب التخوين والإدانة إلى القفز في مربع آخر تنتهي فيه فكرة القواسم المشتركة وتبرز فيه الاختلافات البنيوية لكل فصيل.

- **تخوين وإدانة التيارات المدنية[3].**

[3] ركز الباحث على الانتقادات الفكرية والممارساتية التي توجه إلى الرؤي والتصورات والاستراتيجيات الخاصة بكل تيار، وابتعد عن رصد الانتقادات المرتكزة على التجريح والإهانة والسب والقذف التي تمتلء بها الصحف ووسائل الإعلام والفضاء الشكبي ووسائل التواصل الاجتماعي؛ لكونها تمثل بذاءات أخلاقية يعف اللسان والقلم عن تكرارها.

تمثل التيارات المدنية تيار الليبرالية السياسية واليسار السياسي والتصورات العلمانية للحياة بصفة عامة، ويمكن تلخيص أبرز مظاهر تخوين وإدانة هـذه التيارات من قبل أنصار تيارات الإسلام السياسي على النحو التالي:

(1) التدبير السياسي المرتكز على النموذج الغربي الذي يستبعد الدين تمامًا من واقع الحياة السياسية تخطيطًا وتنفيذًا، فالسياسية شأن دنيوي لا علاقة للدين به.

ويتناقض هذا التوجه مع ما تؤمن به تيارات الإسلام السياسي التي تؤمن بأن الدّين الذي لا يتوافق مع السياسة، والسياسة التي تخرج عن الدِّين هي تلك التي تمّ اقتباسها من الغرب أو الشرق مجرّدة عن الدّين، وتغلب على ممارستها: الغش والمكر، والخديعة والظلم، واتباع الأهواء(عبد الوهاب الديلمي،**1418**ص:**80**).

(2) التآمر مع الآخر الغربي بتوظيف ما يسمونه مؤسسات المجتمع المـدني ومنظمات حقوق الإنسان التي تتلقي تمويلاً خارجيًا لتنفيذ مخطط غربي هدفه تشويه العالم الإسلامي وإثبات عجزه عن صنع الحداثة والمدنية.

(3) تعيش قيادات التيارات الليبرالية والعلمانية والمدنية بصفة عامة حالة مـن الموت السريري لكونها قيادات شاخت وتعاني من فقر الفكر وبؤس الخيال وتتسم بالبطء والتردد وعدم اليقين بالثورة كفكرة وكمشروع للتغيير الشامل (أمين اسكندر،**2013**).

(4) يلتحف بالفكر الليبرالي والعلماني واليساري نخب سطلوية التفكير لا علاقة لهم برجل الشارع العادي بهمومه الحياتية، إذ هي نخب استعلائية وتدعي الفهم والتدبير السياسي المرتكز على الحداثة والمدنية وتنزعه مـن رجـل الشارع العادي.

(5) أنها نخب تحتقر آداب وثقافة المجتمع وقيمه الروحية والأخلاقية الحقيقية في سبيل إعلاء آداب وثقافة وقيم تنتصر لأسلوب الحضارة الغربية في الحياة.

(6) الحرية الفردية المطلقة، مُقابل الحدِّ من كافة السلطات المهيمنة على رغبات الإنسان، سيَّما سلطة الدولة، والسلطة الدينية(الوحي)،أو السلطة الأخلاقية (العُرف)، فلسفة ليبرالية لا تختلف في أعم تفاصليها عن الفلسفة العلمانية التي تدعو للتحلل من التقيد بأي شرع أو عرف أو مبدأ(عبدالله العروي،1993، ص: 47، رمضان الغنام، 2013).

(7) ليس صحيحا بحال أن"التيار المدني" ديموقراطي لمجرد كونه غير إسلامي، أو مناضل من أجل الديموقراطية. الواقع أن تاريخ متن هذا التيار طول الثلاثين عامًا الماضية على الأقل يضع طيفاً واسعاً منه في موقع أقرب إلى النظم الحاكمة، وإن بتحفظ متفاوت عليها. فإن كان من توجه سياسي يمكن نسبته إلى التيار المدني المزعوم فهو"**الاستبداد المستنير**"،أي نسخة من الاستبداد أقل انحطاطا مما عرفنا في العقود الماضية، لكنها محبة للثقافة والمثقفين، وتعمل على "تنوير الشعب بفهم خاص لقضايا التنوير"، ولا بأس في أن تتعامل معه بغلظة أبوية. لزوم "التربية."(ياسين الحاج صالح، 2012).

(8) الاكتفاء بمعارك القنوات الفضائية دون الاستناد إلى شعبية حقيقية في الشارع أو مشاريع خدمية للمطحونين والمهمّشين،علاوة على أن انحياز هذا الإعلام لهم وهجومه الظالم على الدولة قد أفقده الموضوعية،وبالتالي أفقد جبهة الإنقاذ مصداقيتها، ولا ننسى تدني لغة الخطاب التي يتحلى بها مذيعو هذا الإعلام البعيد عن أبسط قواعد المهنية،علاوة على ظهور بعض ممثلي جبهة الإنقاذ على تلك القنوات ينافسون أولئك المذيعين في الإسفاف والابتذال.

(9) وصف جبهة الإنقاذ في أحد امتحانات المدارس بأنهم قطيع من اللصوص يسعون جاهدين إلى إسقاط مصر وإغراقها فى مستنقع خطير من أجل مصالح شخصية زائلة يحلمون بها. وجاء الموضوع على النحو التالى «لقد

خرج علينا قطيع من اللصوص ممن تجرعوا مرارة الهزيمة والفشل، زاعمين أنهم جبهة الإنقاذ الوطنى، فأى إنقاذ هذا الذى يتشدقون به، أولئك الذين عاثوا فى الأرض فسادا غير عابئين بمصلحة ومقدرات شعبنا العظيم ليعرفوا تقدم مصر جاهدين لإسقاط مصر وإغراقها فى مستنقع خطير من أجل مصالح شخصية زائلة يحلمون بها«، (عماد جاد، **2013**) .

(10) الأحزاب السياسية الملتحفة بالفكر اليساري والاشتراكي هي أحزاب علمانية وفي وضع أشبه بالانهيار لتمسكها بفكر فقد هويته وأصبح عاجزا عن وصف الواقع وتفسيره فبات هيكلاً أجوفَ،لا يُبقيه على قيد الحياة في شكْلِه المتوارَثِ على الأقلِّ– سوى"قلَّةِ الموت"؛ بل" قلَّة النقد..... "إنَّ مَن يدقِّق النظرَ يجد أنَّ مفهوم" اليسار قد أصبح عديمَ الفائدة، ولم يعُدْ أداةً للفهم، هذا إذا كان يومًا كذلك، لقد اكتفى اليساريون العرب بحَرْق أحجار "الجوزة"، وتلويث الهواء بدخان" الشيشة"، والانزواء في المقاهي لـ"الثَّرثرة"حَقْن الأوردة بـ"أفيون "التضخيم الفارغ،والاستسلام الكامل للغيبوبة،فالواقع بالنسبة إليهم قد بات أكثرَ مما يُحتمل(أحمد إبراهيم الخضر، **2012**).

(11) الفكر السياسي الليبرالي والقومي والعلماني على اختلاف مشاربه فكر إيديولوجي بامتياز، لأنه في جوهره يجسد مشاريع شمولية تستهدف إجراء تحوّلات حضارية، أي تغيرات تلامس الرؤية الوجودية ورؤية الشعوب العربية للعالم والمجتمع والاقتصاد والسياسة على المستوى القيمي ، لذلك فقد فهي في مجملها مشاريع انقلابية شمولية تهدف إلى بناء مجتمع ونموذج حضاري جديدٍن على أساس الانقطاع عن سياق الأمّة التاريخي والحضاري (**محمد عادل شريح، 2011**).

تخوين وإدانة تيارات الإسلامي السياسي[4] :

(1) النكوص عن الحالة العقلية أو ضرورة إعمال العقل التي تتطلبها الحداثة.

وتستهدف الصحوة للرجعية الدينية لتحافظ على وتشدد من الجوانب الرجعية والمتخلفة في واقعنا السياسي والاجتماعي والثقافي والفكري بحجة أن ذلك هو شرع الله، وهو تكريس لانسحاب الجماهير من مجابهة قضايا ومشكلات المجتمع الحقيقية وأسبابها الجوهرية التي يطرحها الواقع المعيش، وصرف اهتمامها إلى قضايا ومشكلات مفتعلة ووهمية أو على الأكثر "فرعية وجانبية.".

(2) الخطاب السياسي خطاب للخلاص الأخلاقي الفردي وليس خطابًا استراتيجيًا يقوم على التدبير العلمي لنظم خطط استراتيجية وخطط تنفيذية تنموية حقيقية.

(3) ثقافة "الكلام الكبير" التى تميل إلى استخدام الألفاظ الضخمة والعبارات الحماسية التى تقوم على تمجيد الذات ومدحها وتهنئتها فى كل مناسبة، بما حيلة للهروب من الواقع غير المرضى، إلى عالم خيالى تحل فيه جميع المشكلات، مهما كانت المفارقة بين الأقوال والأفعال، ومهما كان حرج الموقف، تتخذ القرارات وتصدر الأفكار بناء على مدى جاذبيتها وقبولها من الناحية العاطفية، وليس استنادا إلى قيمة نفعية أو مدى ما تحققه من الناحية الاستراتيجية، أو حتى مدى تحقيقها للأهداف الوطنية المعلنة.

---

[4] ركز الباحث على الانتقادات الجوهرية المتعلقة بتناول مكونات الثقافة السياسية للتيار وتداعيات تدبيره السياسي الحالة والمتوقعة، وتجاهل الانتقادات المرتكزة على التشكيك الأخلاقي؛ ويجدر التنويه إلى صيغ النقد والاتهامات المشار إليه لا تمثل على الإطلاق وجهة نظر الباحث، بل هي رصد لما يردده خصوم تيار الإسلام السياسي.

(4) تيارات الإسلام السياسي مصابون بما يصح تسميته النرجسية الجماعية **Group Narcissism**؛ وتأتي خطورة هذه الظاهرة من فكرة الاستعلاء بإدعاء الطهر والنقاء الأخلاقي المرتكز على

(5) استيلاب الحكم واغتصابه دون استحقاق بفعل آليات انتخابية مرتكزة على التوظيف الديني وتزييف الوعي واستغلال آلام الناس وظروفهم المعيشية، وتأسيس ديكتاتورية سياسية دينية لا تقيم وزنًا للآخر ولا تعتبره شريكًا حقيقيًا في صناعة القرار والتدبير السياسي، أو على حد تعبير السيد ياسين (2013) "ديكتاتورية سياسية جديدة تتشح بثياب دينية متشددة **كفيلة بتخلف المجتمع** المصرى قروناً عديدة إلى الوراء، ومحاولات لإسقاط الدولة لكى تصبح فريسة للأطماع الداخلية والخارجية على السواء، وأخيراً السلوك الغوغائى غير المسئول الذى أدى فى الواقع إلى نسف التراتبية الاجتماعية، والتمرد غير العقلانى على السلطة، والزحف المنظم لاقتلاع القيم والأعراف التى قامت عليها المؤسسات فى مصر، ومعنى ذلك **تفكيك المجتمع**".

(6) التأسيس لانهيار مفهوم الوطن انتصارًا لمفهوم الأمة والخلافة وفقًا لفهم خاص للنظام السياسي؛ وعلى حد تعبير عزمي عاشور(2013)التحول من الدولة الوطنية الديمقراطية صاحبة الوظيفة والدور لجميع من يعيشون على أرضها تتحول إلى دولة العقيدة والإيديولوجية التى سوف تخلق في مقابلها أيدلوجيات وعقائد أخرى كثيرة ، وهو ما سوف يقود لتمهيد لمنطق اللادولة في الثقافة وفي السياسة ثم تصبح بعد ذلك واقعا جغرافيا.

(7) وصف تيار الإسلام السياسي بأنه كتلة غير عاقلة ولا تفقه السياسية وبالتالي يجب أن توضع تحت الوصاية، وهذا الموقف أكثر خطورة وأكثر تأثيرًا سلبيًا على ذلك التيار مقارنة بتأثيرات التيارات الليبرالية،إذ فيه

خندقة له في وضعية السفيه السياسي المحتاج إلى وصاية عاقل راشد،بل وربما حتى الحجر عليه(مولاى البهطاوي بطاط، 2012).

(8) الغباء السياسي كتصرف سياسي قولاً أو فعلاً يتميز بخطأ التقدير أو المعالجة تجاه أمر سياسي ما يقوم به صاحبه وهو يتخيل أنه الخيار الأمثل.

(9) شخصيات التيار الإسلامي تجسد الانغلاق والتشرنق على الذات مما يصيبها "الإخوانية" في مقتل وتجعلهم دائمًا في حالة خوف وقلق، والتسليم بأن العالم كله يتربص بهم ويتأمر عليهم طوال الوقت، فضلاً عن التسطح الثقافي والمعرفي فلا يدري كيف يتفاهم ويتعامل مع البشر العاديين، فضلاً عن الميل إلى العدوانية واستفزاء الآخرين **(محمد أبو الغار، 2013، ص: 17)**.

(10) التأسيس لدولة موازية تسمى دولة المرشد كلاعب أساسي في التدبير السياسي لمؤسسة الرئاسة.

(11) القصور الاستراتيجي العام والمتجسد في العجز عن بناء اصطفاف وطني ثوري،وإعلاء فكرة الغنيمة الشخصية، لظروف موضوعية متعلقة ببنية جماعة الإخوان المسلمين وحزبها السياسي على وجه التحديد وطابعها السياسي المحافظ والذي أعجزها عن التعامل مع اللحظة الثورية، فضلا عن اعتياد أغلب قيادات الجماعة العمل شبه السرى لا العمل العام، والأول من خصائصه تقديم أهل الثقة على أهل الكفاءة كثيرا، والانشغال بالتنظيم وإدارته عن مقاصده أحيانا، والمركزية الشديدة فى اتخاذ القرار غالبا، وهو ما بدا فى اختيارات الجماعة لأعضاء الجمعية التأسيسية، وكذا لمرشحيها لبعض المناصب القيادية فى الدولة ـــ والتى ظهر فيها تقديم أهل الثقة وأولى القربى بشكل أثار شبهات لم يكن هناك ما يدعو لها ابتداء، وكذلك فى آلية اتخاذ قرار تقديم مرشح للرئاسة، وطريقة تسمية المرشح، وطبيعة العلاقة بين الجماعة والحزب، والتى شهدت فى بدايتها محاولات من قبل الحزب للاستقلال لم تلبث أن تهاوت.

(12) تمكن العقل الإجرائى من تيار الإسلام السياسي على حساب العقل الاستراتيجى، وتلك آفة يعانى منها إسلاميو مصر منذ عقود، إذ العقول الاستراتيجية وأصحاب الرؤى النقدية ليسوا مثقفين عضويين وإنما مستقلون على هامش الجماعة، وبالتالى فتأثيرهم محدود مقارنة بالتنظيميين القياديين، كما يتعذر إنكار تأثير مناخ الاستقطاب الحال في دفع الحركة فى اتجاه التمترس التنظيمى لا التشارك (إبراهيم الهضيبي، 2012).

(13) تيارات الإسلام السياسي تيارات براجماتية الوجهة، ومن أهم مؤشرات ذلك التراخي التام في التعامل مع دعوات التطرف والمغالاة وأنصار التوجهات الجهادية من الإسلاميين إذ لا تريد خسارتهم كخزان انتخابي، فضلاً عن التلويح بهم كفزاعة يمكن اللجوء إليهم عند الضرورة، ويتجلى ذلك في ممارسات مؤسسة الرئاسة خلال العام الماضي بقرارات العفو الرئاسي عن الكثير من أنصار التيار الإسلامي.

(14) فكر تيارات الإسلام السياسي خاصة الفكر الإخواني فكر انغلاقى متحجر يعتبر"الآخر" من غير الإخوان العدو الواجب أسلمته بالقوة أو قتله أو ترويعه حتى ينكفىء ولا يمارس حقوقه المدنية فى مجتمع مدنى من المفروض أنه ساحة لكل الاراء و الافكار والممارسات الدينية والفكرية والاعلامية تحت سقف القانون ولا شىء غير القانون.(أحمد الحباسى، **2012**).

(15) سيطرة عقلية التمكين وعقلية "مغانم على الطريق" وممارسة التدبير السياسي على أرضية هذه العقلية التحافاً بالآية القرآنية بسم الله الرحمن الرحيم {**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ & وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ**}(سورة القصص،الآيتين: **5- 6**) فالآخر بالنسبة لذوي هذه العقلية فرعون وهامان وجنودهما ويجب أن نريهم جميعًا بأسنا.

(16) الإخوان هم أكثر الناس نفاقا وبهتانا وتلونا وانعطافا لانهم يريدون الحكم بكل ثمن ومهما كان الثمن ولذلك رأينا وسمعنا بكل " التنازلات" والمقايضات التى حصلت وتحصل وستحصل مع الغرب حتى يتمكنوا من الحكم ولا يعترضهم الفيتو العالمى (أحمد الحباسى،2012).

(17) الحديث عن الشيء ونقيضه واستراتيجية التراجع والتبرير غير العقلي كدالة لصدمة الموقف من الديمقراطية، فقد ظلت الديمقراطية عند البعض من أنصار التيار الإسلامي،طوال عقود، شرّاً محضاً،أَيْنَمَا توَجِّههّاُ لاَ تأْتِ بِخَيْر ثم أصبحت بين عشيّة وضحاها.العصى التي يتوكئون عليها أمام أنصارهم ويهشون بها على خصومهم، واتخاذها كسلم يصعدون به إلى سدة الحكم ثم ينقلبون عليه بتكسيره والكفر به.

(18) الإدعاء بأن أنصار تيار الإسلام السياسي يمثلون حالة النقاء والطهر الأخلاقي، وأن المتخندقون في إطار التيارات الأخرى يمثلون فكر الخبث والفساد الأخلاقي هكذا بالمطلق.

(19) لا تؤمن تيارات الإسلام السياسي بدرجات متفاوتة بطبيعة الحال بالثورة كسيرورة تغيير سياسي في كامل أدبياتها،ولم تَدْعُ الشعب يوما الى ثورة أو إلي عصيان مدني لتغيير نظام الحكم، كما أنها تعاني منانعدام أو فقر الخيال الثوري، فهو خيار مسقط تمامًا من حساباتها (خليل العناني،2013،شريف محي الدين،2012)،ومع ذلك استثمرت الحدث الثوري واندفعت للتعامل معه وفقًا لفقه الغنيمة السياسية انفاذاً سلوكيًا لعقلية الانتهازية السياسية.

(20) التآمر السياسي مع تنظيمات تتجاوز حدود الوطن بالولاء للتنظيم والجماعة على حساب الوطن وجودًا ومصيرًا.

(ج) موقف رجل الشارع العادي من الأزمة السياسية :

يمثل رجل الشارع العادي قوام موجة الحراك الثوري الحال والمتوقع؛ لاعتبارات كثيرة يجب إقرارها قبل الدخول في تفاصيل الاتهامات العبثية التي وجهت إليه من قبل التيارين السابقين:

(ث)**الاعتبار الأول:**الغالبية العظمى من الشعب المصري لا انتماءات حزبية حقيقية لها، ولا يعني ذلك جهل المصري العادي بالشأن والتدبير السياسي الحال.

(ج)**الاعتبار الثاني:** قاعدة التقييم التي يعتمدها رجل الشارع العادي للتدبير السياسي سواء للنظام الحاكم أو للأحزاب المعارضة الشأن الحياتي اليومي على المستوى الأمني والاقتصادي ولا يعنيه على الإطلاق الاحتراب الإيديولوجي بين التيارات السياسية.

(ح)**الاعتبار الثالث:** المُشَاهَده النفسية استراتيجية معتادة لدى المصري التقليدي، إلا أن كسر دائرة الخوف الخبيثة تُنْبِىءُ بحراكًا جماهيريًا عفويًا كاسحًا في انتظار من يوجهه ويستثمره لتخليص الوطن من عبثية مركب التخوين والإدانة المميت لإرادة الحياة في المجتمع والمُغْلِقْ لكل نوافذ الأمل في المستقبل.

وأفرز ما يُعرف بربيع الثورات العربي في موجاته الأولى، وموجاته الثانية المتوقعة حراكاً سياسياً غير مسبوق،سعى الأفراد من خلاله لمزيد من المعرفة بالديمقراطية، والمحافظون إلى مزيد من المصالحة معها،ودخلت معه(الأحزاب) القائمة سباقاً محموماً لملء الفراغ السياسي الحاصل في أعقاب إزاحة الأنظمة السابقة. ولأنّ الشعوب المستضعفة إذا ملكت إرادتها فقدت السيطرة على حركتها؛ فإن ثورتها في وجه من ظلمها، تبدأ، في غياب الموجّهين العقلاء، بموجة عاتية من الغضب وتؤول إلى طوفان عارم من الفوضى؛ يرتب اختلالاً في الوجهة والمسار وربما تأصيلاً إراديًا لمركب تستحيل الحياة به وهو **مركب التحرر من الخوف ـــ التحرر من الحياء**

والتأدب، فإن كان التحرر من الخوف فضيلة إنسانية كبرى، فالتحرر من الحياء والتأدب رذيلة أخلاقية ربما تفسر الكثير من صور الاختلال السلوكي المؤصل لحالة بؤس نفسي عام مؤشراته لا تخطئه العين.

وتخلقت على أرضية المشهد السياسي والحياتي العام لفترة ما قبل ثورة (25) يناير ما يسميه السيد ياسين(2002)الجيل السادس على حد تعبيره وهو جيل عنوان تركيبته النفسية "القلق" بفعل ضغوط مطالب الحياة كما أن التفاوتات الاجتماعية والاقتصادية الكبيرة بينهم تجعل منهم "عوالم " مختلفة مشتتة ثقافيا وفكريا، وفاقدة لكل فاعلية حيوية ذاتية؛ لفقدان الأمل ولعدم الاطمئنان للمستقبل.

ويأتي الحدث الثوري ليمارس دور المنقذ لهذا الجيل، وليعيد فيه إرادة الحياة، ومع ذلك يمكن رصد ملامح عامة لتباين موقف رجل الشارع العادي خاصة جيل الشباب من الحدث الثوري مسارًا وحراكًا ومآلاً

– موقف المستهتر اللامبالي، والمكتفي بفعل مشاهدة الحدث دونما تدبر فيه أو انفعال معه أو مشاركةً في مساره.

–موقف المستكين المستسلم، أولئك الذين نشئوا على الافتقاد لروح المبادرة والركون للواقع واستمراء لعب دور الضحية. ويغلب على ذوي هذا التوجه رفض الفعل الثوري رفضًا سلبيًا على المستوى اللفظي فقط في ظل فلسفة " كنا عايشين وخلاص".

–موقف الرافض الفعلي للحدث الثوري، وربما يكون الدافع وراء ذلك ما يسمى بالاتجاه النفعي وتأثيراته، في ظل كونهم من المستفيدين ببقاء الحال السابق على ما هو عليه، دونما تبرير منطقي كافٍ.

–موقف الغائب العقلي والنفسي المتسائل عن:ماذا يحدث؟ وهؤلاء أشبه بمن هم في حالة خدر عقلي تام،منفصلون عن الواقع قابعون في عالم افتراضي

يسره لهم فضاء التقانة والعولمة، والمتخنقدون بمقولـــة"ما تفـــرقش كلـــه زي بعضه".

-موقف المستغل والسائر في الركاب والباحث عن دور بعد حالة من الضياع والنسيان والشعور باللاقيمة.

-موقف الفاعل المشارك الإيجابي:الصانع للحدث الثوري ابتداءًا والمحافظ على وهجه وتتالي موجاته حراسة وتصويبًا.

جدول (2) المواقف المختلفة من الحدث الثوري	
الموقف	طبيعته
المستهتر اللامبالي	ذلك الشخص الذي ينصرف بصورة تامة لتحقيق غاياته ومآربه الشخصية دون أدني انتباه أو اهتمام بما يحدث كأن الأمر لا يعنيه، وتعكس سلوكياته سمات الشخصية التي لا تعبأ بالمسئولية ولا تبالي بالتقاليد ولا الأعراف الاجتماعية ولا الأحداث الاجتماعية والسياسية الكبرى، ودائماً هي محط انتقاد من الآخرين نتيجة سلوكياتها وتصرفاتها غير المقبولة من الجميع .
المستكين المستسلم	ويعكس في سلوكياته سمات الشخصية المستكينة القابلة لكل الأوضاع والتي تميل إلى الانصياع للآخرين ومسايرتهم والإذعان إليهم دون تدبر أو دون تفكير، فضلاً عن ضعف قدرته على إبداء الرأي أو مشاعره الداخلية، مع الحرص الزائد على مشاعر الآخرين والخوف من إزعاجهم، والرضا بحالة الاستضعاف ومذلة الذات.
الرافض الفعلي للحدث الثوري	وتعكس سلوكياته خصائص الشخصية النمطية التقليدية التي تفتقد للحيوية الذاتية، وغير القادرة على التكيف مع التغيير، فضلاً عن اعتقاده بأن الوضع القائم يوفر له سياقًا وفرصًا لتحقيق مصالحه الشخصية، وتميز هذه السلوكيات من يمكن تسميتهم بشلة المنتفعين من الوضع القائم، وهؤلاء لديهم مخاوف من نجاح الثورة وضياع مكاسبهم التي عاشوا عليها مع النظام السابق، والأخطر من ذلك أنهم يخشون الملاحقة القانونية والغضب الشعبي جراء ما اقترفوه من جرائم ومخالفات إبان النظام السابق.
الغائب العقلي والنفسي	وتعكس سلوكياته سمات الشخصية المغيبة التي تعيش في عالم افتراضي من الأوهام والتخيلات والفاقدة لكل صلة لها بالواقع الحياتي المعاش.
المستغل والسائر في الركاب	التنقل في كل المربعات الثورية والسياسية بتوجهاتها المختلفة؛ وفقًا للتيار الذي له الغلبة؛ وبالتالي تغيير اللون السياسي حسب مقتضيات الضرورة، وعادة ما يُستغل ذوي هذا الموقف بصورة انتهازية لتشويه التيار أو الفصيل السابق الذي كانوا ينتمون إليه، وفقًا لفلسفة التشويه من الداخل (ظاهرة المنشقون)، ومن أبرز ملامح مثل هذه الشخصية القدرة على المراوغة والتحايل والتقلب في المواقف بحيل تبريرية لها وجاهتها المنطقية ظاهريًا.
المشارك الإيجابي	وتعكس سلوكياته ما يصح تسميته بالانتقال التلقائي في مسار معادلة الحدث الثوري لمعادلته التي تنص على أن الثورة = نفور ورفض للموقف الحالي + استياء وتذمر + صرخة

	واحتجاج + فاعلية وحراك وانفجار.

وتتعدد صيغ الاتهامات الموجه لحراك الشارع، وأقل الاتهامات التي توجه لثورة رجل الشارع العادي على نحو ما يذكر فهمي هويدي(2013)أن رجل الشارع العادي يُسلم زمام أمره لقنوات الاتصال الإعلامي الفضائي والشبكي التي تكون إدراكه العام وتوجهه إلى حيث شاءت، اكتفاءًا منه بما سماه الفرجة النفسية فقط وتكوين القناعات بناء عليها دونما اعتبار لمقتضيات العقل،بما يجسد تراجعًا مهيناً للسمع والبصر والعقل.

الخطوة الثانية: وصف وتفسير حالة التخوين والإدانة.

ينطلق الباحث من نموذج للوصف والتفسير يستند إلى ثلاثة أبعاد أساسية يمكن بموجبها فهم مركب التخوين ــ الإدانة وما يرتبط به من حالة العبث المشار إلى بعض ملامحها، ويوضح الشكل التالي أبعاد هذا النموذج :

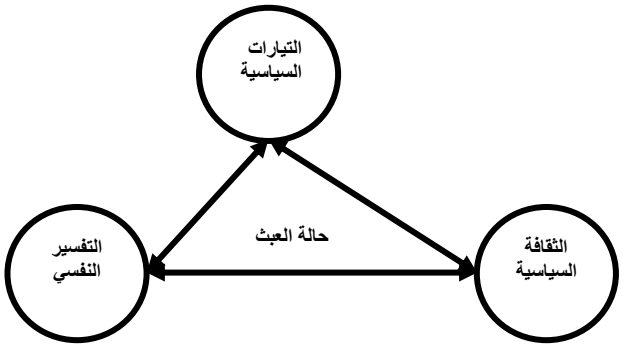

شكل (3) أبعاد وصف مركب التخوين ـــــ الإدانة.

-الثقافة السياسية :

يُعرف مصطلح **Political Culture**في قاموس أكسفورد لعلوم السياسة بأنها" نسق الاتجاهات والاعتقادات والقيم الكامنة وراء التدبير والممارسة السياسية لنظام سياسي معين،ويتضمن ذلك المعرفة والمهارات اللازمة للتدبير السياسي،فضلاً عن المشاعر الانفعالية الإيجابية والسلبية والأحكام التقييمية نحوه.وقد يكون لمناطق جغرافية معينة أو جماعات عرقية خاصة أو جماعات

مصلحة أو أحزاب داخل النظام السياسي العام نسق اتجاهات واعتقادات وقيم نوعية تسمى في هذه الحالة ثقافات سياسية فرعية.

ويقصد بالثقافة السياسية مجموعة المعارف والآراء والاتجاهات التي يتبناها تيار سياسي ما نحو شئون السياسة والحكم، الدولة والسلطة، الولاء والانتماء، الشرعية والمشاركة، ويمكن تحديد المكونات العامة للثقافة السياسية التي تخضع لعملية التحليل في النقاط التالية:

- **المرجعية :**

الإطار الفكرى الفلسفى المتكامل،أو المرجع الأساسي للعمل السياسى لهذا التيار أو ذاك.

- **التوجه نحو العمل العام :**

التوجه الفردى الذي يميل إلى الاعلاء من شأن الفرد وتغليب مصلحته الشخصية، في مقابل التوجه العام أو الجماعى الذي يعنى الايمان بأهمية العمل التعاونى المشترك في المجالين الاجتماعى والسياسى.

- **التوجه نحو النظام السياسى** :

الاتجاه نحو النظام السياسى والإيمان بضرورة الولاء له والتعلق به من ضرورات الاحساس بالمواطنة وما ترتبه من حقوق والتزامات.

- **الاحساس بالهوية :**

يعتبر البعض أن الاحساس بالانتماء من أهم المعتقدات السياسية، ذلك أن شعور الأفراد بالولاء للنظام السياسى يساعد على اضفاء الشرعية على النظام، كما يساعد على بقاء النظام وتخطيه الأزمات والمصاعب التي تواجهه. فضلاً عن أن الاحساس بالولاء والانتماء للوطن يساعد على بلورة وتنمية الشعور بالواجب الوطني وتقبل الالتزامات، كما يمكن من فهم الحقوق والمشاركة الفاعلة في العمليات السياسية من خلال التعاون مع الجهاز الحكومى

والمؤسسات السياسية، وتقبل قرارات السلطة السياسية والايمان بالدور الفاعل لها في كافة مجالات الحياة.

ويمكن التوصل إلى الإطار العام لوصف حالة تخوين الآخر وإدانته بوصفها عنواناً للحياة السياسية المعاصر في سياق التفاعل بين الأبعاد الثلاثة الموضحة في الشكل السابق، ويوضح الجدول التالي هذه الحالة.

جدول(3): المقارنة بين تيارات ممارسة الفعل السياسي في ضوء مفهوم الثقافة السياسية.

	تيارات الإسلام السياسي [5]	التيار المدنى الليبرالي	التيار المدني اليساري
المرجعية	الإسلام دينٌ ودولةٌ، فإذا أُقيم الدين استقامت الدولة، وبإقامة الدِّين واستقامة الدولة تنطلِق الأمَّة في مجالات رحْبة؛ من الدعوة والتعليم والحِسبة، وباختلال الدَّولة تختلُّ واجباتٌ دينيَّة جماعيَّة؛ كالجِهاد والقضاء بالعدْل وجمْع الزَّكاة... (محمد يسري إبراهيم، 2013) والإسلام السياسي أو الإسلاموية مصطلح سياسي وإعلامي وأكاديمي استخدم لتوصيف حركات تغيير سياسية تؤمن بالإسلام باعتباره "نظاما سياسيا للحكم". ويمكن تعريفه كمجموعة من الأفكار والأهداف السياسية النابعة من الشريعة الإسلامية والتي يستخدمها مجموعة يؤمنون بأن الإسلام" ليس عبارة عن ديانة فقط وإنما عبارة عن نظام سياسي واجتماعي وقانوني واقتصادي يصلح لبناء مؤسسات دولة."، ويمكن تعريف الفاعلين السياسيين الإسلاميين على أنهم هؤلاء " الفاعلون الذين يستخدمون النصوص والمرجعية والرموز الإسلامية في تحديد هويتهم ورسم الأطر العامة لنشاطاتهم داخل الفضاءات الفكرية والسياسية والاجتماعية والدينية " ، فمنهم من يسعى لتأسيس نظام سياسي إسلامي محكوم بمبادئ الشريعة الاسلامية، والبعض الآخر	فلسفة سياسية أو نظرة عالمية تقوم على قيمتي الحرية والمساواة، واعتبار الفرد هو المعبر الحقيقي عن الإنسان، بعيداً عن التجريدات والتنظيرات، ومن هذا الفرد وحوله تدور فلسفة الحياة برمتها، وتنبع القيم التي تحدد الفكر والسلوك معاً (محمد ربيع، 1994، ص ص: 399-400) . وتعتبر الليبرالية الحرية المبدأ والمنتهى ، الباعث والهدف ، الأصل والنتيجة في حياة الإنسان، و"الأنا" البعد المركزي في تصورها للحرية الإنسانية وقيودها ، وهي المنظومة الفكرية الوحيدة التي لا تطمع في شيء سوى وصف النشاط البشري الحر وشرح أوجهه والتعليق عليه" ويجمع التيارات المدنية الليبرالية عدة مبادئ تمثل مرجعيتها الأساسية في الفكر والممارسة السياسية تتمثل فيما	يطلق مصطلح اليسار على كل من يهدف لبناء مجتمع أكثر مساواة وعدل وتوزيع عادل للثروة، ويعتقد أن مصدر التشريع هو العقل والعلم أساسا وبالتالي يدافع عن العلمانية مع الأخذ بعين الاعتبار الخصوصية الثقافي، ويدعم اليسار التغيير الاجتماعي والثقافي والسياسي لذلك يعتبر اليسار نفسه تقدميًا يوظف الماضي والحاضر خدمة المستقبل للمستقبل و يتبنى اليسار فكرة الاشتراكية بالتوجه نحو تطبيق الملكية العامة لوسائل الانتاج و الحد من القطاع الخاص لصالح الهيمنة المطلقة

[5] تنضوي تحت تيارات الإسلامي السياسي العديد من الفصائل والأحزاب السياسية ذات المرجعيات الدينية المتباينة في تصوراتها وتفسيراتها للتدبير السياسي وغاياته، ويركز في التحليل على القواسم العامة المشتركة فيما بين هذه التيارات.

	يستخدم الإسلام كنقطة للمرجعية دون تبني أجندة اسلامية مع التأكيد على أن القيم الاسلامية متوافقة مع النظام الليبرالي الحديث (على محمد على، 2013).	يلي: (1) الدعوة إلى تأصيل قيمة الحرية بمعناها العام والخاص. (2) الدعوة إلى العلمانية والعقلانية. (3) التغريب واعتبار النموذج الغربي في التفكير والحياة نموذج المدنية والتقدم.	للدولة...والاستقلال التام عن المؤسسات الأجنبية والفصل التام للدين عن الدولة وعن البرامج التعليمية.
التوجه نحو العمل العام	تنطلق فلسفة التوجه للعمل العام في فكر تيارات الإسلام السياسي إنفاذًا للعديد من التوجهات: (1) الإحسان إلى الآخرين خاصة الفئات الأولى بالمساعدة والظهور أمامهم بمظهر الطائع للخالق في كونه بمختلف أنواع الخدمات الاجتماعية والاقتصادية، وربما المتاجرة بهذا الإحسان لتكوين ظهير شعبي يمكن توظيفه عند استحقاقات سياسية معينة. (2) إثبات أنهم ليسوا مديري مساجد أو قوامون على الشعائر وفقط، بل ممارسة فعل هداية الآخرين وفقًا لفهم خاص للهداية والدعوة عبر الارتباط بالمجتمع والعمل العام تمهيدًا للهيمنة على المجتمع عبر العمل العام (حسام تمام، 2010، محمد العربي، 2013، ص: 8) . (3) التمترس في ممارسة العمل العام بما يعرف الجمعيات الخيرية ومؤسسات العمل الدعوى ومؤسسات التكافل الاجتماعي.	العمل العام الحقيقي هو ذلك العمل الذي يستهدف صنع إنسان حر مسؤول وواعي ومدرك لخياراته ومساراته في الحياة، بتحرير العقل من المواقف المسبقه على الأشخاص أو على الجماعات بتوظيف مختلف آليات وأدوات التنوير الثقافي والسياسي؛ وبالتالي ينحصر دور ذوي التوجهات الليبرالية فيما يتعلق بالعمل العام في المنتديات والمؤتمرات والملتقيات الفكرية ووسائل الإعلام ومؤسسات التشكيل الثقافي والمناسبات الثقافية والإصدارات الفكرية وما يصح تسميته التجارة الرابحة بالكلمة. كما تتمترس التيارات المدنية الليبرالية بما يعرف بمؤسسات المجتمع المدني ومنظمات حقوق الإنسان كسياق تمارس من خلاله فكر التنوير وما تسميه الدفاع عن الحقوق المدنية خاصة قضايا المرأة والطفولة.	العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص والقضاء على كافة صور التمييز واللامساواة غير المبررة، والجماعات الأولى بالرعاية والاهتمام الجماعات المهمشة والمحرومة من الامتيازات، والطبقات الكادحة ، وتمثل فكرة النقابات المهنية والائتلافات السياق العام لممارسة العمل العام لدى ذوي أنصار التيار اليساري على اختلاف مستوياته.

الإحساس بالهوية	تيار الإسلام السياسي هو تيار "هوياتي"، ينقل عملية الصراع السياسي من مصالح اقتصادية واجتماعية إلى صراع هوية، وأنه مرتبط بتطور خطاب الإحياء الإسلامي الذي بدأ في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ويمثل رد فعل على أزمة وجودية بالمعنى الجماعي تمثلت في جزء منها في آخر غربي يمارس عدوانه السياسي والثقافي على الذات الإسلامية، وتتمثل في جزء آخر في نخب ثقافية وسياسية وفنية تمارس هي الأخرى عدوانًا على الذات الإسلامية بأدوات تتمرس بفكر التنوير والحداثة الغربية (حسام تمام، 2012) وبذلك يمثل مفهوم الذات الإسلامية الدائرة الرئيسية لتكوين الملامح الأساس لمفهوم الهوية والانتماء ويتأسس عليها فكرة الأمة الإسلامية التي تتجاوز في تفصيلاتها حدود الدولة الوطنية القطرية وحدود مفهوم القومية بصيغته التقليدية.	الدولة الوطنية المرتكزة على خصوصية الحالة والظرف والمسار، والانتصار لها بولاء مطلق، والمواطنة هي الرابط الحقيقي للانتساب بغض النظر عن الجنس واللون والدين، إن تيار الفكر الليبرالي في حقيقته التاريخية مفهوم قُدم لصيانة الهوية الوطنية ورعاية تضاريس الدولة القطرية ونزع كل توجه من شأنه تدمير البناء الوطني الموحد ضمن واقعه الموضوعي التاريخي والجغرافي وكل ما يتعلق بتشكيله السياسي والاجتماعي، وتعتبر الحدود القطرية تجسيد لهذا الوطن ولذلك تلغي في وعيها الثقافي الصيغ الوحدوية الإكراهية أو القهرية والتي يميل إليها دعاة الفكر القومي بمفهومه العنصري . والليبرالية تعتبر التفكير باعادة الخلافة أو النظام الإمامي في مفهومه الواسع عمل يتنافى وروح المواطنة التي تؤكد على الانسان بما هو هو دون زوائد واضافات، والبحث عن الهوية الوطنية يجب ان يركز على عناصر التطور الاجتماعي والحاجة إلى إجراء تغيير في قضايا السلوك والمعتقد التي هي موروثات تاريخية لاتستند إلى حقايق معرفية ، والتغيير يجب ان يتركز على الجوانب التي تحد من نشاط وفعل الوطنيين في التنمية والاعمار ، مستفيداً من الرؤية النفسية للتأثير في قضايا الوطن ووحدته (فريد لمريني الوهابي، 203؛ص ص:35-36، Schumann,2010).	مفهوم الأممية والقومية كمشروع مجتمعي وكأفكار وقيم مثالية للانسانية يتجاوز اللحظة السياسية والانتخابية ، الى آفاق أرحب بهدف تحقيق تغيير مجتمعي عميق نحو السلم والعدالة الاجتماعية والحرية وتنمية القوى المنتجة وتكافؤ الفرص والمساواة بين الجنسين وتقديس الحق في الحياة، وكل قيم الانسانية التي ترفع من قيمة البشر، بغض النظر عن عرقه، وجنسه ودينه و لونه.
الموقف من الدين	لا يمكن لأي أحدٍ أن يقدّم اجتهاداً في النص الديني، فالذين يمتلكون أدوات تقديم اجتهاد يصون ذهن الأمة من الانحراف ، طبقاً لتوجيهات المؤسسة الدينية الصارمة عدد قليل ، والنص الديني حاكم للفعل السياسي ومحدد	تنحية النص الديني عن الدخول في منطقة الفعل السياسي لاتقاء عملية الإملاء الحتمي الذي تفرضه قداسة النص الديني في منطقة بشرية صرفة " الفعل السياسي " لا تقبل	الدين وبغض النظر عن التباين في تفسيراته علاقة ذاتية بامتياز بين الإنسان وخالقه، ويجب إبعاده عن مضاربات

	لوجتهه ومحتواه ومساره وإجراءاته. والدين منهج حياة ينظم المجتمع كله ويحدد له أسلوب حياته على مستوى التفكير والانفعال والفعل.	الثبوت و لا تعترف بقواعد محددة للمناورات والاجتهادات المدنية .والدين علاقة رمزية ، تجريبيّة وجدانية ذات طابع ذاتي لا شأن له بالتدبير السياسي، يقيمها الانسان مع الخالق خروجاً من وحشة الروح ونشداناً للأمن والطمأنينة الذاتية.	السياسة وبورصات الإقطاع الديني والفرمانات التي تصوغها أوليجاركية المؤسسة الدينية في أي زمان و مكان .
التوجه نحو النظام السياسي	إذا كان الدين " قاعدة تأسيس البناء الثقافي والوجداني لأي شعب من الشعوب، ولا يمكن فصله بالضرورة عن التدبير السياسي، فإن النظام السياسي الفاعل هو ذلك النظام المرتكز خصائص النِّظام السِّياسي الإسلامي، في أنَّه نظام يتقيَّد بالشرع المنزّل كتابًا وسُنّة، السيادة فيه للشرع والسلطان فيه للأمَّة، فالشرع وحْده الذي يملك تقريرَ الحق والإلزام به، وهو صاحب الكلمة العليا في أمْر المجتمع والدولة، بحيث لا توجَد سلطةٌ أخرى تُساوي سُلطته أو تدانيها؛ والأمَّة صاحبة الحقِّ في اختيار حاكِمها، وهي التي تحاسبه وتراقبه وتحتسب عليه، وهي أيضًا التي تلي أمْر عزله عند الاقتضاء (محمد يسري إبراهيم،2013). كما تتمثل أهداف النظام السياسي الحالة فيما يلي: 1- استئناف الحُكم والتحاكُم إلى الشريعة الإسلاميَّة. 2- استفاضة الدَّعوة إلى الله وحمايتها. 4- تمتدح الغاية من التدبير السياسي إذا أفضى إلى رعاية مصالح النّاس، وإقامة الدِّين في الأمّة، وسياسة الدّنيا به. قال الماوردي رحمه الله تعالى: الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في: حراسة الدِّين، وسياسة الدّنيا به، وعقدها لمن يقوم بها في الأمّة واجب بالإجماع (الماوردي، ج 1، ص: 5). ويرى زياد بهاد الدين (1996) أن العقيدة السياسية لتيار الإسلام السياسي تتأسس على ثلاث قواعد أساسية تتمثل في: أ – إن الإسلام دين ودنيا، عقيدة ونظام اجتماعي، بمعنى أن الدين الإسلامي قد جاء لكي ينظم علاقة الإنسان بالخالق وكذلك علاقة بني الإنسان ببعضهم البعض واضعا بذلك أسس اجتماعية واقتصادية وسياسية تعالج المعاملات الفردية والتنظيم السياسي للدولة، وان كان	إنّ النظام السياسي في الفكر الليبرالي المعاصر يعتبر حلاً لمشكل تقني صرف مفاده: كيف يمكن حماية الأفراد من الطغيان واستبداد الحكّام ؟ ويتمثل الحال في الديمقراطية من حيث هي تقنية إجرائية للحكم وتوفّر المشروعية السياسية للحكم عن طريق الاقتراع الشعبي وتحديدا عن طريق اختيار الأغلبية، لتأسيس نظام حكم مدني يركز على مفهوم الدولة الوطنية والمواطنة كقاعدة مطلقة للانتماء والاستحقاق بلا أي تمييز على أساس الدين أو النوع ...الخ. والنظام السياسي الرشيد من وجهة نظر الليبرالية السياسية هو ذلك النظام الذي يقوم على ثلاثة أسس: (1)فصل الدين عن الدولة والتدبير السياسي. (2)التعددية الحزبية والنقابية والانتخابية من خلال النظام البرلماني (الديمقراطية). (3) ضمان وكفالة الحرية الفردية. وتتجلى الليبرالية السياسية من خلال مفهوم الديمقراطية: تداول السلطة، الفصل بين السلطات، المواطنة المؤطرة لعلاقة الدولة والمجتمع، والسلطة المؤسسة على التعاقد، ونظام سياسي يحترم الحقوق والحريات العامة، ودولة يسود فيها القانون، وأن المجتمع ومؤسساته في خدمة الإنسان المواطن بغية الوفاء بأهداف	إن اليسار بصفة عامة والفصيل الديمقراطي منه بصفة خاصة يناضل من أجل كل المتضررين من الوضع القائم من عمال وبرجوازية متوسطة وعاطلين ومهمشين، وذلك من أجل اقرار العدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية والمساواة في الحقوق والواجبات بغض النظر عن الجنس واللون والعرق والأصول الاجتماعية. والغاية من ذلك استتباب نظام سياسي واجتماعي عادل يسود فيه الشعب ويحكم من خلال ممثليه معتمدا على القدرات الخلاقة للمواطنين في الإنتاج المادي والمعرفي لتأمين حاجيات الإنسان في الحرية والتربية والتطبيب والعيش الكريم والأمن والأمان.

	بدرجات متفاوتة من التفصيل. والشريعة الإسلامية هي الإطار العام الذي يجمع هذه القواعد والمبادئ. ب – أن الشريعة الإسلامية ليست مجرد مجموعة من القواعد السلوكية والإيمانية الجامدة تنما هي تراث فكري وقانوني متكامل أهم ما فيه هو أدواته التحليلية وتقسيماته النظرية التي تؤهله لأن يحتل موقعا رفيعا بين المدارس القانونية الكبرى في العالم. جـ – ان النظام الاجتماعي والقانوني في البلدان العربية لابد وان يكون مرتبطا على نحو تام بمبادئ الشريعة الإسلامية لا أن يستقل تماما عنها .	الأفراد، دون تحيز لمن هم في الطبقات الاجتماعية الأعلى. فالفردية والحقوق المتساوية في عالم تعددي ليست هي المعيار الأخلاقي للسياسة العامة فحسب، بل هي أفضل سياسة للتقليل من النزاعات، وتدشين علاقة صحيحة بين الأفراد، والسلطة السياسية (عياد البطنيجي، 2013، باسكال سلان، 2010، ص ص: 72-112).	

وتتموضع نقطة الخلاف الحقيقية بين التيارات المتضمنة في الجدول السابق حول مفهوم الهوية بتفاصيله وتشعباته والموقف من الدين، وما يمكن الانتهاء إليه في ظل هذا التباين الوجودي في وجهة الهوية ومضمونها وفيما يتعلق بوضعية الدين في التدبير السياسي التأكيد على أن حالة الاستقطاب الحاد والأحادية المغلقة القابضة بتلابيها على المشهد السياسي المعاصر دالة بالضرورة لما يصح تسميته صراع **الهُويات**،وهو صراع على الرغم من خطورته وأهميته القصوى لا يهم رجل الشارع العادي الغارق في قضايا الوجود الحياتي اليومي، ومع ذلك يجب أن يفهم رجل الشارع العادي أن قضايا التدبير الحياتي اليومي على المستوى الاقتصادي والقانوني والتعليمي،تتوقف بصورة تامة على حل إشكالية الهوية المشار إليها.

وتدفع حالة الاستقطاب والأحادية المغلقة باتجاه حالة من القطيعة المعرفية والسلوكية بين أنصار هذه التيارات وبالتالي فإن تصور فكرة الالتقاء ربما تكون أمرًا مجانبًا للواقع، الأقرب إلى التصور الإقصاء ولا يتم الإقصاء إلا بالتشويه والاغتيال المعنوي بتوظيف تام لكل آليات الخبث والفجر السياسي.

ولعل الاتهام الرئيسي الذي يوجهه أنصار التيارات الليبرالية واليسارية فيما يتعلق بمشكل الهوية والموقف من الدين إلى أنصار تيار الإسلام السياسي يتمثل في أنهم يقومون هجمة ممنهجة لتغيير هوية مصر من ثقافة علمية

زاخرة بالتاريخ والفن والابداع الى ثقافة السمع والطاعة. فـــي إطـــار أجنـــدة الجماعات الدينية تتبنى سلطة فاشية تسعى الى تهميش الفكر والثقافة على يد مجموعة من محدودي الفكر رجعيي التوجه الحياتي(سلمى الورداني، 2013).

والتيارات الليبرالية واليسارية من وجهة نظر أنصار تيار الإسلام السياسي ذوو نزعات براجماتية صارخة تدعم كل قيمة أو تقليد أو عرف بمعزل عن الدين، لنزع أية قداسة للدين من قلوب الناس، فحولوا المروءة والصدق والبر في خطابهم إلى قيم شعبية لا دينية، ترتبط بالتراث الشعبي العربي، لا بتعاليم الإسلام وأخلاقياته وآدابه، ومن جانب آخر أخذوا في دعم الأعراف المنفلتة والقيم الجاهلية، والفنون والآداب الشعبية التي تتصادم مع الشريعة، لتتلون المشاهد السياسية والثقافية والاجتماعية بدخان النفعية، مستغلين في ذلك **جهل هذه الطبقة**[6]، وعوزها المادي والروحي (رمضان الغنام، 2012).

كما يمكن القول أن مركب التخوين ـــــ الإدانة دالة في جزء منه لما ســـبق تسميته ثقافة ويُقْصَدُ بثقافة الإقصاء عدم رؤية الآخر، وعدم تقـــدير مواقفـــه وآرائه، والنظر إليه على أنه خائن وعميل،وأنه لا يملك رؤية لحلول أزمتنـــا، بل والنظر إليه على أنه يتاجر بقضايا أمته لمجد شخصي مع اتهام واضح في النيات، وينفيه أهل ثقافة الإقصاء وكأنه جرثومة يجب وأده واستئصاله، فـــلا أحد يريد أن يرى أحدا، أو يحاوره،أو يقبله،وكل يـــدعي العصـــمة والبـــراءة والكمال، والحل السحري لكل المشكلات، والويل كل الويل لكل من قدم فكـــرة أو وجهة نظر لا تروق لفلان أو علان،أو حزب،أو شريحة،أو تيار"(وسام فـــؤاد، 2007).

[6] اتهام واضح باستعلائية مطلقة لعامة الشعب بالجهل، وتتردد هذه الاستعلائية في الكثير من كتابات أنصار تيار الإسلام السياسي، بل والنخب المتمترسة بالفكر الليبرالي واليساري.

وترتبط الثقافة السياسية بالثقافة العامة للمجتمع،وقد اعتادت المجتمعات العربية أن تحيا مع تاريخها دوما حياة شديدة التماسك مع الماضي. وترفض تفتيت الزمن إلى وحدات كمية أو النظر إليه كامتداد بعيد. فإن النظرة العربية للتاريخ لا تزال سكونية رجعية الاتجاه. فلا تنظر إلى التاريخ على أنه نقطة انطلاق ولكن حدود انتهاء فهناك انفصام بين عصر نعيش فيه وعصر آخر نرتبط به، وتموج الثقافة العربية بصفة عامة بخاصية **الإقصائية لعالم الأفكار** في بيئتنا الثقافية وهي أحد أسرار المشهد السياسي المعاصر في دول الربيع العربي بصفة عامة وفي مصر بصفة خاصة.

وتسود في الثقافة العربية الغيبية والتلقينية والسكونية والإرهاب الفكري ـــ يواجه الفكر بالسيف والرأي بالاعتقال والعقل بالعضلات أو برفع سلاح التكفير على كل مخالف في الرأي أو يتهم بالخيانة والعمالة أو العته والجنون؛ وبالتالي فعقلية التخوين ــ الإدانة تعكس في طابعها العام ملامح الثقافة العامة للشخصية العربية (شريف الصيني شي سي تونغ،**1999**).

ويمثل مركب التخوين ــ الإدانة شكلاً من أشكال **البلطجة الفكرية** يتبلور في مجادلة الآخرين على الاستسلام والتلاعب والقيل والقال الكاذب والاختلاق والاشاعات والاستهزاء والتقليل من شأن الآخر.

ويمكن الانطلاق من مفهوم **الذهنية النفسية** كإطار تفسيري مفيد في فهم مركب التخوين ــ الإدانة الذي يجسد التوجه البارز في التعامل مع قضايا الهم السياسي وانشغلاته الحالة.

ومركب التخوين – الإدانة في صورته العامة ما هو إلا تجسيد لذهنية نفسية يسيطر عليها دافعين إنسانين أساسين:

(أ)الأول:الخوف ويتمثل في سياق الدراسة الراهنة في الخوف من الآخر المغاير وعدم الاطئمنان إليه.

(ب)**الثاني:**المصلحة الذاتية وتصور استحالة تحققها في ظل هيمنـــة الآخـــر على التدبير السياسي.

كما توفر لنا فكرة ما يمكن تسميته "**العناد الوجودي**" فهمًا معقولاً لتخندق كل تيار في توجه معين للحياة دونما رؤية أو حتى تفكير في الاستماع للتيار الآخر واتخاذ منظوره في الوصف والتفسير اقتناعًا هكذا بالجملة أن رؤى الآخر وتفسيراته لا إقرار لها إلا بالتخلي عن الوجود والمصير الشخصي، فلا تعايش إذن بين هذين التيارين فوجود تيار يعني بالضرورة إلغاء وجود الآخر، وعلى هذه الأرضية تتخلق صيغ الصراخ والعويل والانتقاد والتسفيه في تمثيلية حوار رموز التيارات السياسية مع بعضها البعض.

ويشير تعبير العِناد في اللغة فيما يورد(أحمد مختار،**2013**)، بأنه مصدر "عاند"، وهو يعكس اضطرابًا وظيفيًّا عقليًّا يجانب بمقتضاه الإنسان الحق ويفارقه مع المعارضة والمغالبة وتصلب الرأي، والعناد من المنظور النفسي حالة مِن التعبير عن الرفض للقيام بعملٍ ما حتى لو كان مفيدًا،أو الانتهاء عن عمل ما وإن كان خاطئًا، والإصرار على ذلك وعدم التراجُع،مهما بُذلت محاولات للإقناع أو حتى الإكراه والقسْر.

والعناد هنا لا يقوم على منطق، ولا يسانده دليل ولا حجَّة،بل هو نزعة عدوانية، وسلوك سلبي، وتمرُّد ضدَّ الآخَرين مهما كانت علاقة المعاند بهم تظهر معه إرادة المخالفة والتصادم وعدم الاستجابة للنصْح والتوجيه.

يُضافُ إلى ما تقدم أن الاندفاع باتجاه مركب التخوين ـــــ الإدانة تجسيد لشعور الفرد **بالإحباط** عندما يخفق في تحقيق هدف من أهدافه. وارتباطا بحالة الوعي التي ترافق عملية الإخفاق.

ويتم هذا الأمر بتفعيل مضامين حيلة **الإسقاط،** وهو أن ينسب الفرد ما في نفسه من عيوب وصفات غير مرغوبة وإخفاقات إلى غيره من الناس ويلصقها

بهم، وبالتالي يحمل أناس آخرين مسئولية إخفاقه ولا يحملها لنفسه،على الرغم من أن ذلك اعترافا لاشعوريا على النفس أكثر منه اتهاما للغير، فضلاً عن اللجوء إلى آليات أخرى كالعدوان أو التبرير المشوه(عامر صالح ، 2013).

الخطوة الثالثة المصاحبات النفسية لمركب التخوين ــ الإدانة:

ما دام السياسي يخول لنفسه مهام التنظيم والتدبير والتوجيه والضبط والتحكم والمراقبة والعقاب، فإن تدبيره يمس مباشرة واقع حياة الإنسان العادي في قوته اليومي وفي حله وترحاله،وفي أفكاره ومعتقداته؛وبالتالي في حالته الوجدانية النفسية.

والتدبير السياسي الناظم للمشهد السياسي المعاصر يرتكز على تخوين الآخر وإدانته وقوامه تصفية سياسية لا يمكن أن تخدم المواطن العادي في شيء مما يعانيه من ضنك العيش وقساوته ونار الأسعار وانسداد أفق الأمل، ليصبح الاقتران منطقي بين تدبير السياسي الحالي كتعبير عام ومجرد وما يصح تسميته متلازمة البؤس النفسي كاقتران الاحتراق بالنار.

وعندما يُصار الحال إلى واقع سياسي واجتماعي العبث عنوانه واللايقين وجهته ومساره أكبر من التعقل ومن الصبر ومن الحلم ومن التفهم، ربما يكون من المقبول إعلاء المضمون على الحبكة والإجراء المنهجي لأنه مع كل يوم جديد نكتشف أفعى سياسية متلونة كانت تختبئ وراء ستار العتمة السياسية لتخرج فى لحظة ما تنفث سمومها فى جسد المجتمع المصري لتشبعه بالنفايات الأخلاقية والدونية حتى صارت كل الأدوية المعروفة غير ذي جدوى (أحمد الحباسي، 2012).

ويمكن تضمين مؤشرات العبث السياسي والاجتماعي المعاصر والذي ازداد تعقيدًا في ظل حالة اندفاع الجميع باتجاه تخوين الآخر وإدانته في ثلاث أفكار رئيسية تتمثل فيما يلي:

- فكرة تآكل الاحترام لكل ما آمنا به قيم وناضلنا من أجله من مبادئ خـــلال فترة النقاء والطهر الثوري.
- فكرة البلادة الذهنية واستمطار ردود الأفعال الغبية حيال نظم المسار وتعيين الوجهة.
- فكرة حماقة ترتيب الأولويات في مجتمع يئن من البطالة والفقـــر والجهـــل والمرض ومحاصر بتهديد حال لأمنه ووجوده ومصيره ، وبشر يتحدثون في ما هو رفاهية حال وعلو مقام بتفكير سطحي قوامه التمنى والخيـــال المريض.

وفي إطار ذلك يشير التحليل السيكوسياسي إلى أن المصريين فـــي الوقـــت الحاضر يتنفسون سياسة ويحتضرون اقتصادًا ويختنقون أخلاقًا ويٌخشى مـــع استمرار الحال أن ينتحرون مستقبلا، ليبقى الأمر بانتظار موجة ثورية ثانيـــة قوامها حراكي شعبي تلقائي وهدفها الرئيسي تحرير الوطن من أئمة وفقهـــاء التيارات السياسية الكسيحة التي تؤصل الممارسات السياسية المتمرسة بمركب التخوين ــ الإدانة.

وتخلقت في إطار مركب التخوين ــ الإدانة حالة من **البؤس النفسي** المطبق لم يعهدها المصري من قبل، ويمكن تفهم حالة البؤس النفسي الحالة في إطار تناول سوابق ولواحق المشهد السياسي المعاصر من الوجهة النفسية على النحو التالي:

(1) سوابق المشهد :

تشكلت خلال السنوات العجاف السابقة للحدث الثوري الكثير من الظـــواهر العقلية المتخلفة التي رزعت في البنية النفسية ثقافة الجهل والتخلف وأمـــراض التطرف الفكري بكل أشكالها،وترعرعت فيها عقول نشأت في ظـــل الكبـــت السياسي والقهر المعنوي والإنتخابات المزورة ومحاولات الإستقطاب الأمنـــي وتحريض فئات المجتمع علي بعضها البعض طمعا فـــي كراســـــي الســـلطة

وحين تفتحت الأبواب تخرج هذه الأمراض وتنتشرت في الشوارع تؤكد وجودها كتعبير عن مجموعة من العوامل يمكن الإشارة إليها على النحو التالي:

الإحباط النفسي Psychological Frustration:

يعد"الإحباط النفسي"،خاصة إذا اشتدت حدته وطالت مدته، سببًا منطقيًا وجوهريًا للانفجار والثورة على الأوضاع القائمة، والانتقال من حالة اللافعل إلى الفعل.

وينشأ الإحباط النفسي إذا كان هناك تباين وتناقض بين ما يريده الإنسان ويراه من حقه، وبين الواقع الفعلي.وقد أسهمت العولمة والإعلام المفتوح وثورة الاتصالات في هذا التباين،ومن ثم الإحباط.

فقد أصبح الإنسان العربي العادي على وعي وإدراك بحياة الإنسان في الدول المتقدمة، ولذلك أصبحت توقعاته ورؤيته لما يجب أن تكون عليه حياته في تناقض وتباين واضح مع واقعه،خاصة من ناحية حقوق الإنسان، والحقوق السياسية والاجتماعية، وفي بعض البلدان الحقوق الاقتصادية أيضا.

ولكن الإحباط النفسي لا يؤدي بالضرورة إلى الانفجار والثورة، بل هو يؤدي في الكثير من الأحيان إلى السلبية وحالة من عدم الانتماء. إذن، فبرغم منطقية الإحباط النفسي كسبب للثورة، فإنه غير كاف لتفسير حدوث الثورة، مما يستوجب البحث عن ظواهر أخري لتفسير ما حدث من الناحية النفسية (هشام رامي، **3102**).

(أ)التنافر المعرفي:

يرتبط بمفهوم الإحباط النفسي مفهوم آخر يسمي"**التنافر العقلي المعرفي**"، أو عدم التوازن النفسي. وطبقا لهذا المفهوم، يعاني الفرد تنافرًا وتباينًا بين ما يراه العقل أنه منطقي وسليم، وبين الوضع القائم. هذا التنافر وعدم التوازن النفسي يؤدي إلى حالة من التوتر والقلق النفسي الشديد، الذي يصيب الإنسان بمعاناة لا يستطيع العقل تحملها.

تولد هذه المعاناة طاقة عقلية ونفسية قوية، تدفع الإنسان إلى محاولة التغلب على هذه المعاناة، حيث إن العقل البشري لا يستطيع أن يتحملها لفترة طويلة.

لذلك، تدفع هذه المعاناة الإنسان دفعًا ليقوم بعمل أي شيء لاستعادة التوازن النفسي. والنتيجة إما أن يقوم الإنسان باستخدام هذه الطاقة العقلية لتغيير واقعه، فيقوم بالثورة على الواقع، وإما أن يستخدم الطاقة في تغيير رؤيته هو عن الواقع ليرضي عنه، فلا يثور. وعلى ذلك، فإن عدم التوازن النفسي يساعد على حدوث الثورة، ولكن ليس منفردا. إن اندلاع الثورة يتطلب وجود عدة عوامل نفسية مجتمعة (هاشم رامي، **2013**).

(ب) السخط النفسي العام:

السخط النفسي حالة نفسية مؤلمة دالة في جزء منها لافتقاد الأمل واليأس في الحياة، فضلاً عن ادراك اتساع الفجوة بين الأوضاع الطبقية، ما بين طبقة مستأثرة بكل شيء وطبقة محرومة من الحد الأدنى من الحياة الكريمة

(ت)الجمود العقلي والانفصال عن الواقع لدى الطبقات الحاكمة:

اتسمت الأنظمة الحاكمة بالبطء الشديد، وعدم المرونة في التعامل مع الأحداث، مما قد يكون ناتجًا عن المرحلة العمرية المتقدمة لمعظم هذه القيادات، وطول فترة البقاء في الحكم.كما أن كثيرا من هذه القيادات أصابتها حالة نفسية يطلق عليها "الإنكار النفسي"،وفيها يقوم العقل البشري بإنكار وعدم تقبل حقيقة ما يحدث،وخلق واقع آخر؛مما يرتب حالة من العناد وبث روح التمرد تجاوبًا مع عجز هذه الطبقات عن القراءة الواقعية للأحداث واقترانًا بحالة السخط النفسي العام مما يولد الانفجار الثوري وترقيه مطالبه إلى أقصى مدى.

(ث)التمرد النفسي Psychological Reactance

التمرد النفس كحالة دالة في جزء منها لثقافة القهر والاستبداد السياسي وتبعاته على الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمقهورين، وكحالة تمثل انتصارًا للوجود الإنساني الذي أعاق نموه وانطلاقته الهدر الذاتي والاستبداد السياسي . وتقدم كتابات مصطفي حجازي(**2005، 2007، 2007**)في إطار التحليل النفسي

الاجتماعي لثقافة القهر والاستبداد وصفًا لظاهرة التمرد هذه بكونهـــا تحـــدي الموت وقهره يحمل في النهاية معنى الانتصار على القهر والرضوخ اللـــذين يعنيان موتا معنويا ووجوديا. منذ اللحظة التي يبدأ فيها الإنسان المقهور بتحدي الموت والظفر عليه يكون قد قلب من الناحية النفسية الذاتية المحض معادلـــة التسلط أو الرضوخ وانتصر على ذاته مما يتيح له الانتصار على قوى القهـــر فيما بعد.

إن الانتصار على الموت هو قضاء على اجتياف التبخيس الذاتي الذي يعني النقص والمهانة ويعني بالتالي انعدام القيمة الذاتية، ومن هنـــا يـــأتي التمـــرد الجمعي كحالة منهية للقناع الدفاعي المتمثل في الاكتئاب أو الرضوخ المستسلم أو التبلد واللامبالاة، ومولدة طاقة الحياة المتحولة إلى غضب يغلي يتخذ طابع العنف الكاسح، الذي يفاجئ المراقب ويفاجئ ذاته بعظم وزخم الطاقـــة التـــي تتحرك . أين كانت ومن أين أتت؟ ذلك ما يفـــاجئ المســـتبد وقبلـــه يفـــاجئ الراضخين المهدورين أنفسهم (مصطفي حجـــازي، **2005، ص: 293، 2007، 55، 2007، ص: 137**).

(2) لواحق المشهد السياسي :

يشير(هاشم رامي،**2013**)إلى أن لثورات الربيع العربي خاصة الثورة المصـــرية تأثيرات نفسية بالغة الوضوح على الشخصية، بعض هذه الآثار النفســـية قـــد يكون إيجابيًا، وبعضها قد يكون سلبيًا. كما أن بعض الآثار النفسية نتجت عن الثورة نفسها، والبعض الآخر كان نتاج أحداث العنف التي صاحبت وأعقبـــت الثورات.

من الناحية الإيجابية، فقد أظهرت وبلورت الثورات روحًا وطاقة إيجابيـــة كانت غائبة عن الشعوب العربية لفترات طويلة.هذه الطاقة الإيجابية يصاحبها شعور بالتفاؤل بأن المستقبل سيكون أفضل،من الناحية النفسية،وهي توفر للعقل المجال والبيئة الصحية التي تجعله يقوم بوظائفه على أكمل وجه.تمـــنح هـــذه

الطاقة الإيجابية الإنسان القدرة على التفكير بطريقة أفضل، بل على الإبـــداع والابتكار. كما أنها تدفع الإنسان للتعاون مع الآخرين، والعمل بروح الفريق.

هذه الطاقة النفسية الإيجابية تزيد أيضا من شعور الإنسان "بالآخر"، ممـــا يدفعه إلى مراعاة شعور الآخرين، ومعاملتهم باحترام، والبعد عـــن محاولـــة إيذائهم. بل وهي تدفع الإنسان للعمل من أجل مصـــالحهم وســـعادتهم، حيـــث تختفي الأنانية، وتبزغ روح الإيثار. وقد رأينا ذلك بوضوح في ميدان التحرير في مصر وغيره من الميادين في بقية البلدان العربية أثناء فترات النقاء الثوري فقط.

زادت هذه الثورات من ثقة الناس بأنفسهم، وقدرتهم على التغيير، وإحـــداث الفارق في حياتهم، بل وفي مجتمعاتهم، وتبدو هذه الثقة أكثر وضـــوحا فـــي الأجيال الشابة. فبعد عقود طويلة تم فيها وصمهم بالسطحية والتفاهة والسلبية، جاءت هذه الثورات لتثبت أن ذلك غير حقيقي.

فهذه الأجيال هي التي فجرت الثورات، وأثبتت لنفسها وللآخرين أنها إيجابية وقادرة على الفعل، وتمتلك المعرفة والأدوات العصرية التي تمكنها من إحداث الفارق. ومن الجدير بالذكر أن الطاقة النفســـية الإيجابيـــة، وروح التفـــاؤل، وارتفاع معدل الثقة، تسهم في تحسين الصحة النفسية لأفراد المجتمع، خاصـــة على المدي القصير، حيث تكون نشوة نجاح الثورة والأحداث الإيجابية هـــي الغالبة على الساحة. ويكون لذلك تأثير واضح في انخفاض معـــدلات انتشـــار المعاناة النفسية بين أفراد المجتمع على المدي القصير.

ولكن بالإضافة لهذه الآثار النفسية الإيجابية للثورات العربية، فهناك أيضـــا آثار نفسية سلبية، ظهر بعضها نتيجة لحدث الثورة ذاته، وبعضها الآخر نتيجة لأحداث العنف التي واكبت وأعقبت تلك الثورات. فمناخ الحرية الذي أفرزتـــه تلك الثورات صاحبه نوع من**الانفلات النفسي** الناتج عن الإفراط في الإحساس

بالحرية الشخصية، فأصبح بعض الناس يتصرفون بحرية مطلقة دون أي اعتبار للقواعد المجتمعية.

هذا الإفراط أو الانفلات النفسي يمكن تفسيره بأن الإنسان العربي ظل، لعقود طويلة، في حالة من القهر والكبت النفسي الشديد. وعندما زال هذا الكبت، تولدت طاقة نفسية كبيرة، أدت إلى انفجار انفعالي، وانفلات نفسي، وإفراط مبالغ فيه في استغلال مناخ الحرية الناتج عن نجاح تلك الثورات في الإطاحة بالنظم السلطوية والقهرية.

ولكن مع استحكام مركب التخوين والإدانة تنفرد حياة المصريين الآن بخصوصية تتأرجح بين رجاءٍ ويأس، تُرَتِبُ تلقائيًا تقلبًا في المزاج وعدم استقرار نفسي، في ظل حالة **أزمة** محدداتها العامة سياسية وتجلياتها سيكولوجية بامتياز، ناجمة عن عقلية سياسية تبرمجت عملياتها المعرفية على تصلب وجمود فكري يفتقر إلى المرونة والقدرة على إيجاد البدائل في نرجسية واضحة ورؤية محدودة الوسع آنية الإثمار على حساب وطن ومصير.

وتنتج حالة الأزمة فيما يرى قاسم حسين صالح(2013) بما يقترن بها من كم معقد من القضايا الشائكة ثلاث حقائق سيكولوجية تتمثل في:

- تشوه فكري لدى متخذي القرار يضطرهم إلى التركيز فقط على القضايا التي فيها خطر عليهم بتشرنق بارانويدي قهري حول الذات.
- تعميق روح الشك بين الفرقاء واندفاع قهري باتجاه مزيد من التخوين والإدانة في دائرة خبيثة.
- تقوية الانتماءات والولاءات للأحزاب والتشرنق داخل تيار فكري بادعاء امتلاك وحدة الوصف والتفسير والحل، وربما الانتماء إلى دول خارجية على حساب الانتماء للمواطنة والولاء للوطن.

ويجدر التنويه إلى أن التفكير يعتاد على استحضار الخلافات بما يزيد المسافة التفاهمية بعدا،وبرمجة العقل على آلية «العناد العصابي» بالإصرار

على البقاء بالمواقف، فيما يتطلب حلّ الأزمة مرونة التحرّك التي لم تحصل مع أنها أخذت أكثر من وقتها؛ بل تعقدت للدرجة التي أصبح معها التفكير التفاؤلي ضربًا من الوهم في عالم يتعذر فيه العيش للواهمين.

ومع تتالي استحكام أزمة التخوين ــ الإدانة يجد جيل الشباب كصانع للحدث الثوري ووقوده نفسه منقسمًا إلى ثلاث فئات على النحو التالي:

(أ)الفئة المتشائمة:

ترى أنه لا أمل في الخروج من الأزمة السياسية المعاصرة، وأنها ستقود حتمًا إلى انهيار مفهوم الوطن.

(ب) الفئة الصامتة المستكينة:

ترى أن هناك أمل ضعيف جدا في الخروج من الأزمة وعلينا أن نصبر ونتحمل، إما تصبرًا بنصر الله وتوفيقه لخير أجناد الأرض، أو التحافًا بمجد ماضٍ حضاري يرسخ لفكرة أن مصر أكبر من أن تنكسر.

(ت)الفئة المتفائلة:

المعتمدة على أن الرصيد الفكري والإيماني لمصر يوفر لها كل مقومات الصمود والتنمية.

كما يلاحظ شيوع مناخ موسع لنطاق التوتر النفسي العام الذي أثر بدوره على نفسية المصريين وأصابهم بدرجة عالية من التشوش نتيجة غياب المعلومات ذات المصداقية ونتيجة لاندفاع الجميع وخاصة وسائل الإعلام بأشكالها المختلفة باتجاه التحريض على العنف وصناعة الكراهية وبث ثقافة الخويف والتشويه.

ويرى (أحمد عبد الله، **2012**) في تحليله لأسباب هذا التوتر أن البنية العقلية الثقافية للمصريين "هشة وغير متماسكة فكرياً، كما أنها لا تدقق ولا تفكر

بشكل نقدي وتتأثر بالأمور العاطفية حتى لو كانت غير صحيح، فضلاً عن أن العقلية المصرية ليست معتادة على الخلاف ، فالمعلومات مشوشة والشائعات كثيرة والثقافة غير نقدية كما أن البنية الروحية غير قوية وبالتالي يقل التسامح والتماسك عند الشدائد، فضلاً عن تجذر الشعور بالتهديد والخوف من الآخرين وقلق المستقبل مما يزيد من حالة التوتر والاضطراب فيصبح شخصية متشنجة مندفعة باتجاه العنف اللفظي والمادي.

في حين يذهب(علي ليلة،2012)إلى أن أي تغيرات جذرية من الطبيعي أن تصاحبها بعض مظاهر الفوضى، لكن يجب أن نفرق بين ما هو ثابت وجوهري وما هو ثانوي ومتغير، ويرى أن ما هو ثابت وجوهري هو استمرار الفعل الثوري واستمرار التحول الديمقراطي على مراحل متتالية تتميز بالقدرة على التصحيح الذاتي، أما ما هو فرعي ومتغير الانفلات وبعض مظاهر الفوضى وهو أمر طبيعي ولن يستمر طويلا وهو أشبه بالأعراض الجانبية التي تزول بمرور الزمن.

وما يجدر التنويه إليه أن الحالة النفسية العامة للمجتمع تتخلق في إطار ظروف موضوعية يصعب بكل تأكيد عزوها إلى الحدث الثوري في ذاته، أو إلى تداعياته ولواحقه بصورة تامة، لذلك آثر الباحث تناولها تحت تعبير المصاحبات النفسية؛ لكون الحدث الثوري كتغير هائل في بنية أسلوب الحياة حدث كاشف لهذه الحالة وليس منشأ لها، وبصورة عامة يمكن عزو هذه الحالة النفسية بصورة عامة في حاجة إلى دراسة أكثر عمقًا بكل تأكيد إلى:

* انهيار الثلاثية التي يقوم عليها بناء عقل الإنسان طوال تاريخه في ثوابته وهي:الدين والتاريخ والفن، وحين تسقط منظومة **الدين** الصحيح في وسطيته تغزو مواكب التدين المشوه والمريض عقول الناس فتكون أمراض التعصب والتشدد والتطرف وكل هذه المنظومة التي تشجعها الظروف الاجتماعية من الفقر والجهل والتخلف، وحين تسقط منظومة **التاريخ**

تتسرب إلي عقول الشعوب أمراض كثيرة تتأكد مع غياب الذاكرة وسقوط منظومة القيم واختلال مفاهيم الانتماء وتشويه صورة الوطن وحقوق المواطنة، وحين تسوء أحوال **الفنون** يتصحر وجدان الشعوب وتتراجع المساحات الخضراء فيها ويخبو صوت الضمير فلا نفرق بين نهر يجري ومستنقع نعيش فيه ولاشك أن هذه الثلاثية فى مصر قد أصابتها إنتكاسة طويلة (فاروق جويده،**2011**).

– طبيعة التدبير السياسي الراهن والتحافه بالاندفاع التام نحو التخوين والإدانة بكل ملامحها السابق الإشارة إليها.

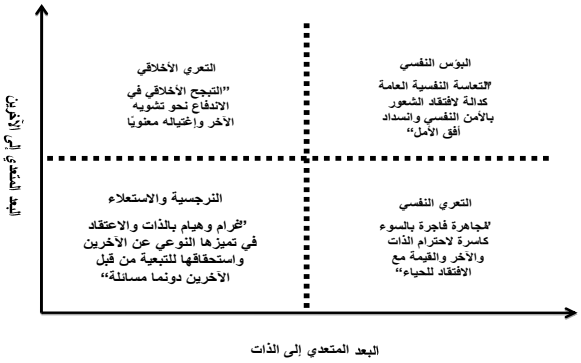

شكل (3) البطانة النفسية للأزمة السياسية المعاصرة

أولاً: حالة البؤس النفسي: ماهيتها ومؤشراتها.

هل من تفسير لحالة البؤس النفسي الراهنة والتي هي حالة من الشقاء تصيب المخلوق بصفة مؤقتة أو دائمة، تجعل من حياته تجربة للجحيم، على الرغم من عدم تضمينها في علم النفس– مراجع وبحوث – وعلى الرغم من تحدث الكثير من علماء النفس عن حالات شبيهة مثل الاكتئاب والاغتراب وخواء المعنى وعدم التوافق والتشاؤم وافتقاد الرؤية والبصيرة، وهل يمكن اعتبار حالة البؤس النفسي دالة في جزء منها لظاهرة التخوين والإدانة التي

التحف بها الجميع؟ أم أن التخوين والإدانة دالة للبؤس النفسي الذي تم تخليقه على مدار عقود سابقة من القهر والإذلال وتصحير الشخصية المصرية؟

وتسليمًا بصعوبة حسم الإشكالية المشار إليها في السؤالين السابقين آثر الباحث استخدام تعبير المصاحبات النفسية لحالة التخوين والإدانة، ويتصور أن حالة البؤس النفسي المتحدث عنها تضفيرًا في متن السطور هذه وربطًا قد يراه البعض تعسفيًا مركب لبعدين متفاعلين:

-الأول:البعد المرتكز على الذات كتجسيد لحالات الاكتئاب وخواء المعنى والاغتراب والتشاؤم واستمراء لعب دور الضحية والاستمتاع بالإهانة وتقبل الظلم والاستكانة ...الخ.

-الثاني البعد المتعدي إلى الآخرين بمتضمناته من تعبيرات سلوكية فكرًا وانفعالاً وفعلاً متعسفًا بحمى الانتقام والإسراف فيه والاندفاع بموجبه نحو مخاصمة الحياة وبالتالي تخوين الآخر وإهانته وتصفيته نفسيًا، والأخطر من كل ذلك إماتة الوطن ذاته بإخراجه من حيز الفاعلية والتأثير إلى حيز الانفعالية والتأثر.

(1) مفهوم البؤس النفسي Psychological Misrey :

يدل لفظ البؤس في التداول اليومي على معان متعددة، فقد يشير إلى واقع الفقر والحرمان الذي تتخبط فيه شرائح اجتماعية عريضة؛وقد يطلق على شخص تجرد من القيم الإنسانية واتصف بالخبث والنذالة،إذ يصرخ في وجهه عادة: بئس الرجل أنت، مقابل:نعم الرجل؛ كما يحمل أيضاعلى صنيع الإنسان وأفعاله، وعلى قراراته وأحكامه، ويدل في الغالب عندما يُضاف إليه وصف "نفسي" على "**حالة وجدانية ونفسية تتصف بالحزن والكآبة**".

والبؤس النفسي"حالة تعاسة نفسية مقترنة بالضيق والتوتر النفسي والارتباك السلوكي المرتكز على افتقاد الشعور بالأمن النفسي وانسداد أفق الأمل في المستقبل،".

كما يمكن اعتبار البؤس النفسي تجسيدًا لحالة اليأس والافتقاد إلى كل بارقة للأمل، ولسان حال الشخص المعبر عن هذه الحالة يردد دائمًا.

يا لوعدٍ تباعـــــدتْ ضـــــــــــــفَّاه *وتوارى البريق في الوجدانِ

(2) مؤشرات البؤس النفسي:

وتتعدد مؤشرات البؤس النفسي، ويمكن تناولها على النحو التالي:

(أ) ارتسام ملامح التعاسة على البنية العامة للشخصية من حيث المظهر الجسدي ونبرة الصوت لدرجة استلبت قدرة الشخص على التعبير عن الامتنان للآخرين والابتسام في وجههم، ليصار إلى حالة من اللاتقبل العام لبعضنا البعض.

(ب) الفوضى الثقافية واحتدام الخلاف حول هوية المجتمع المصري ، في ظل واقع ثقافى أشبه بلوحة من الموزايك وإن كانت لوحة يبدو عليها التآكل وأثار الزمن.

(ت) اقتران التحرر من الخوف بإدارة الظهر لقيمة احترام الآخر وتقديره، والتجرد من الحياء المانع لجرح المشاعر وكسر الخاطر.

(ث) الشعور السلبي والقاتل بالقلق والملل مع الاعتقاد بالافتقاد إلى القدرة على تغيير واقع مرغوب عنه.

(ج) تنامي القلق الاجتماعي،واتساع نطاق العنف والجريمة وتزايد حدتهما ، والتدهور القيمى المصاحب لحالات البؤس الاجتماعي.

* قصيدة "يا لوعدٍ تباعـــدتْ ضَـــــــــــــفَّاهُ" للشاعر عمر الهباش، موقع شبكة دنيا الرأي، الرابط الإلكتروني التالي: http://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2013/03/07/287654.html

(خ)الشعور السلبي بالإعياء والإرهاق والرتابة، والتسليم بأن الحياة لم تعد مجالا للشعور بالفرح والبهجة والانسجام مع الذات في خصوصيتها النوعية على الصعيدين الذهني والجسدي.

(د)عدم الرضا الشخصي، واتساع نطاق الفجوة بين الآمال والرغبات المتوقعة وبين ماهو قائم أو متاح بالفعل.

(ذ)حالة الانفلات والضياع والتوتر والخوف من الماضى وفقدان الأمل من المستقبل، وأي شعب يفقد الإحساس بقيمته وكرامته والشعور بالأمان فى حياته ومستقبله يدخل في حالة من الفوضى اللغوية والسلوكية العامة التى تظهر فى أسلوب الصوت العالى والسباب والشتائم والاندفاع باتجاه تخوين الآخر وإدانته والتجرؤ عليه دونما رادع من قانون أو أنساق قيم (أحمد يحيى عبد الحميد، **2013**).

(ر)التعجل النفسي أي أن يكون الإنسان في حالة من التلهف على تحقيق رغباته سريعا، ولا يطيق فكرة أن يصبر، ولو قليلا، حتي تتحقق النتائج الإيجابية المنتظرة. ويظهر ذلك جليا في حجم الاحتجاجات الفئوية التي نشهدها الآن. ورغم أنها في الأعم ترفع مطالب عادلة ومنطقية، فإنها توضح بجلاء هذا التعجل النفسي،الذي يدفع الإنسان إلى اختيار أقصر وأسهل الطرق للوصول إلى ما يريده .

(ز)إذا كان الإنسان متدينا،كما هو حال معظم الشعوب العربية، فتتولد عنده القناعة بأن وصول أشخاص متدينين إلى الحكم، بغض النظر عن كفاءتهم، هو أقصر الطرق لتحقيق الرخاء المأمول، والنتائج المرجوة. هذه الرؤية النفسية قد تكون أحد التفسيرات لفوز التيار الديني في الانتخابات، ولكن ما يدعو للقلق والحذر هو: ماذا سيحدث من الناحية النفسية، إذا لم تستطع التيارات الدينية أن تحقق الرخاء المنتظر سريعا؟ بالتأكيد حالة التمرد العام والشك في الذات وانقسام المجتمع إلى أغلبية

كاسحة رافضة لتيارات الإسلام السياسي، وأقلية تسلطية تلتحف بالدين لتبرير العنف والعنف المضاد بتمسك تام بالحكم واعتباره مسألة حياة أو موت.

(س)ترسخ ظاهرتي "**التمرد اللاشعوري**" على السلطة الأبوية، و" **الفجوة النفسية – المعرفية**" بين الأجيال،وهي ظواهر نفسية موجودة دائما في كل المجتمعات البشرية، ولكن الثورات أدت إلى تفاقمها بشكل كبير. ويظهر ذلك فيما نراه من خلاف واضح بين الأجيال الشابة والأجيال الأكبر سنا من حيث الرؤي، واللغة، والسرعة في المطالبة بتحقيق التغيير. كما زادت ظاهرة التمرد على السلطة في كثير من أماكن العمل بدون أسباب منطقية، وأصبح واضحا أن هناك حالة من العداء اللاشعوري، وعدم الاحترام بين الأجيال المختلفة؛ مما ينبيء بأن القادم للحركات الشبابية بحيويتها الذاتية بإرساء فعل ثوري يمثل الموجة الثانية للثورة يصوب مسارها ويعيد زمام أمرها ممن سرقوها واستثمروا فعلها لمصلحتهم الذاتية.

(ش)زيادة معدلات القلق والتوتر النفسي والخوف من المجهول، التوجس والتحفز والخوف من المستقبل، وتؤدي تلك المعاناة بالإنسان إلى العزلة، وتجنب الناس والتشرنق حول الذات أو الاندفاع باتجاه توظيف الأحداث والوقائع لتحقيق غايات شخصية.

وتطرح فكرة **الاستيلاب** تفسيرًا معقولاً لمؤشرات البؤس النفسي الحّالُ في التركيبة النفسية للإنسان المعاصر، فعندما يقر في يقين ذلك الإنسان أن إرادته الحرة وقدرته على التفكير لذاته ورسم صورتها المأمولة والاندفاع وتحقيق ذاته وفرض وجوده على الواقع، تم استيلابها من قبل سياسي يدعي أهليته هو فقط للتدبير والتخطيط وباستعلاء ونرجسية مثيرة للغثيان.

يضاف إلى ما تقدم أنه عندما يقر في البنية النفسية للإنسان العادي أن أدوات السلطة في ضمان الولاء والطاعة تتمثل في آليات **الترهيب والترغيب** بمنح الامتيازات للمداحين وتهميش واستبعاد الفاعلين الحقيقين ذوي الجدارة والكفاءة ينتج عن ذلك تبلد للذوق العام وخلق حالة من الركود واللامبالاة وتمكين لثقافة الكراهية كؤشرات تمثل ما يصح تسميته بالبؤس النفسي التفاعلي.

ويرتبط البؤس النفسي بما يصح تسميته لعنة السلطة المتمثلة في النشوة الزائفة وابتعاد القول عن الفعل والدخول في متاهة السلطنة والفوقية المخادعة والتغاضي عن قضايا الوجود والمصير والتغول والتقوقع في الأبراج العاجية وسط جيش من المستشارين يقررون للناس مصيرهم ونمط عيشهم وتعليمهم (عز الدين مبارك، **2013**).

كما يتعذر فصل حالة البؤس النفسي بمؤشراته السابقة عن رؤية الإنسان العادي لتفاصيل **إهانة الوطن والتنكر لتاريخه بعمقه الحضاري** على يد من يطلقون على أنفسهم نخب سياسية ترتمي في تبعية مهينة لدول لا وزن ولا تاريخ حقيقي لها.

ويجدر التنويه إلى أن إعزاء حالة البؤس هكذا تلقائيًا وبصورة مطلقة للمشهد السياسي الحال ومركب التخوين والإدانه بصيغته المشار إليها، أمرًا فيه قدر هائل من المبالغة والخروج عن مقتضيات التحليل العلمي الصحيح؛ إذ أن القراءة الموضوعية لحالة البؤس النفسي تنتهي إلى عزوها إلى عوامل كثيرة، يُشارُ منها إلى عاملين أساسيين هما:

(أ)التمايز الاجتماعي غير المؤسس على الاستحقاق والجدارة.

(ب)التجريف العقلي والاجتماعي وتصحير الشخصية في إطار نظم تعليم وتثقيف لا علاقة لها بفعل التنمية والارتقاء.

ثانيًا: التعري النفسي Psychological Nudity .

تصاب المجتمعات بالرعب من فكرة التعري البدني، وتعدها فكرة دالة في نشأتها وتطبيقاتها على انحراف سلوكي عاكس لخلل نفسي في شخصية من يندفع باتجاهه مهما كانت الرسائل المراد نقلها أو التعبير عنها، ومهما كان الغرض منه كتحقيق للذة أو جلبًا لمنفعة، ويأتي الرعب المشار إليه في جزء منه على الأقل من الاعتقاد بأن التعري البدني مجاهرة بالسوء وتجارة غير رابحة بالبدن.

إلا أن التعري النفسي في صيغته المستهجنة أكثر تأثيرًا سلبيًا على المجتمعات؛ لكونه يصيبها في أخلاقها ووجودها ومصيرها ونوعية الحياة فيها؛ إذ أنه تجردًا من كل حياء ومن كل اعتزاز بقيم الفضيلة والعفة والحق والخير والجمال.

ويشير مفهوم التعري النفسي في جزء منه إلى الاندفاع هكذا بتلقائية وتبجح تام نحو إطلاق الحرية للذات للتعبير عن **رغباتها وبذاءاتها دون وجل أو خوف من عقاب.**

كما يرتبط التعري البدني والتعري النفسي في صيغته السلبية بمفهوم **الفضيحة** ولا تأتي الفضيحة إلا من كل ما هو قبيح مذموم وتستاء النفس السوية من التعبير عنه أو الاقتراب منه.

وبالتالي يأتي تعبير **الستر البدني والستر النفسي** كتعبير أصيل عن ميل فطري لدى البشر لتجنب الافتضاح، وهنا ينقل مستوى التناول لتعبير الستر من كونه تعبير لغوي عام يتردد ليل نهار على ألسنتنا إلى اعتباره قيمة أخلاقية تستأهل بكل تأكيد تمكين البشر من التعبير عن مضامينها سلوكيًا، وبالتالي تصبح مناطًا للتنشئة والتربية الأخلاقية.

وتحقيقًا لمفهوم الستر البدني تبتكر المجتمعات ــ خاصة الإسلامية منها ــ العديد من الألبسة لتغطية الجسد وإخفاء معالمه المثيرة للفتنة،ويشير(Williams, 2003) إلى أن طرق تحقيق الستر النفسي وإن كانت معلومة نظريًا مازالت

غير فاعلة بالدرجة الكافية لتحصين البشر من الوقوع في نقيضه في ظل عالم الكثير مما فيه يدعو إلى ذلك النقيض.

ويستخدم مفهوم**الحشمة أو الاحتشام** في اللغة العربية بمعنى مواز للستر البدني ولا يؤصل هذا المفهوم في سلوكه إلا من هو جدير بكل تقدير واحترام، أما الخروج عن مقتضياته السلوكية فخليق بالاحتقار والازدراء، وهذا أمرٌ مألوف بطبيعة الحال عند تحدث رجل الشارع العادي عن ظاهرة التعري.

ويأتي مفهوم **العفة**Temperanceفي التشريع الإسلامي كطرح مناقض تمامًا للتعري ببعديه البدني والأخلاقي وكإطار عام يمكن بتغليف أبعاده بقيمة الحياء **Modesty** التوصل إلى ما يصح تسميته صيغ التحصين النفسي ضد مظاهر التعري النفسي والأخلاقي.

في المقابل يأتي مفهوم **الجدية والالتزام والوقار والصراحة الإيجابية** على مستوى التفكير والانفعال والفعل كوضع مناقض للتعري النفسي في صيغته السلبية.

ويرى الباحث الحالي أن مفهوم التعري النفسي يصلح كمنطلق نظري لوصف وتفسير حالة العبث السلوكي الحالة والتي دفعت البعض نظرًا لاقترانها بأحداث ثورية جسام وبالتحولات البنيوية التي تطال المجتمع والشخصية المصرية، إلى تقديم وصفًا مهينًا للشخصية المصرية المعاصرة.

فنجد على سبيل المثال إيهاب العزازي**(2013)** يقدم في مقالة له بعنوان لا يخلو من إشارات سلبية بالغة الدلالة مفاده "لماذا انهارت أخلاق المصريين؟" وصفًا غير لائق على الإطلاق للشخصية المصرية ولسلوك المصريين هكذا إجمالاً، ويسلم العنوان بوضوح تام بأن أخلاقيات المصريين بعد ثورة **25** يناير قد انهارت بالفعل، ليس بفعل الثورة بطبيعة الحال، ويؤكد على هذا المعنى بالتناول التحليلي المرتكز على قاعدة الاتهام، ويدلل على ما انتهى إليه من حكم مسبق صدر به مقالته بما يلي:

- اختفاء قيم المحبة والتسامح والتعاون والصدق.
- انتشار العنف اللفظي والبدني الذي أصبح كالنار ينتشر في الشارع بشكل بشع يحرق نسيج الوطن.
- ظهور حالات القتل والتمثيل بالجثث وحرقها للانتقام منها.
- السرقة بالإكراه والبلطجة وقطع الطرق.
- الهجوم على مؤسسات الدولة وتدميرها.
- غياب قيمة الاحترام.
- الإبداع في تشويه وتخوين وإغراق الآخر بسيل من الشتائم والسباب والتنابز بالألقاب والسخرية.
- الكذب والتضليل والتخوين والتشكيك وسحق الآخر واغتياله معنويًا.

وينتهي من الرصد بحكم عام مفاده"أن**الانحطاط الأخلاقي أصبح أسلوب حياة** يتصدر المشهد السياسي خاصة والمشهد السلوكي للمصريين بصفة خاصة" **ويستمر في التحليل التشخيصي الاستنكاري** بقوله : هل هذه مصر التي نعرفها؟ أم ماذا حدث؟ وهل للثورة والسياسة دور في**غياب الأخلاق** عن المجتمع المصري؟ أم أن الأمر لا يتعدي عدم فهم الحرية والديمقراطية؟ لماذا نرى أبشع صور **الانهيار الأخلاقي** بالمؤشرات السابقة بين صفوف المتعلمين؟ **هل تعليمنا لا علاقة له بالأخلاق؟** هل أخرجت الثورة أسوأ ما فينا؟ ثم ينهي مقالته بالقول أن مصر في خطر، الأخلاق المصرية!! ومكونات الشخصية المصرية في تحول عكسي،فهل من الثورة والتغيير والديمقراطية والحرية خطأ أم ماذا؟.

وتجدر الإشارة عن يقين تام لدى الباحث الحالي أن ما قيل عن الشخصية المصرية في المقالة المشار إليها لا يختلف كثيرًا عن ما قيل عنها قبل الثورة بقليل، فها هو محمد عبد الفتاح المهدي(2007) يعرض وبصورة تاريخية للمظاهر السلبية في الشخصية المصرية ومن أهمها التكيف والتشوه والفهلوة

المصرية والتدين عند المصريين والعلاقة بالسلطة والمجتمع المصري بين الاستقرار والجمود والمزاج بين الحزن والمرح والنرجسية والثقافة السمعية، ضعف الإدارة الجماعية رغم كثرة الكفاءات الفردية النظام الداخلي رغم الفوضى الظاهرة المصريون والجن ونمط التفكير والعلاقة بالوقت والعشوائية وأزمة الذوق والجمال.

ثم يأتي تصوير للشخصية المصرية المعاصرة متزامنًا ومعاصرًا لأحداث الثورة وما بعدها بقليل ليكون كاشفًا في لوحة بالغة الدقة وبالغة الروعة عن طبيعة الشخصية المصرية الحقيقية من حيث عناصر تكوينها وملامح خصائصها، وهو تصوير محمد حسن غانم(2012) المرتكز على تجليات إبداعية ناظمة لأحداث ووقائع الثورة التي صهرت الجميع بمقولة الكل في واحد.

وإذا كان التعري النفسي دالة في جزء كبير منه لافتقاد قيمة الحياء فالافتقاد إلى الحياء وعلى نحو ما يشير(محمد على فخرو،2009) الخاصية المركزية للمشهد السياسي المعاصر في الدول العربية بصفة عامة فالمشهد السياسي العربي لم يعد يكتفي بالمراوحة ما بين المضحك والمبكي،فانتقل مؤخراً إلى حالة فقدان القدرة على الحياء، وبالتالي فقدان القدرة على ممارسة التعفف.

فعندما تختفي أهم المقاييس الأخلاقية،الدينية منها وغير الدينية، ويعتبر الالتزام القيمي الإنساني والالتزام العاطفي الإنساني، حتى في أبسط تجلياتهما من غيرة ومروءة، يعتبران نوعاً من السذاجة والرومانسية، عندما يهيمن كل ذلك على الممارسة السياسية تنقلب الأخيرة إلى انتهازية وإلى بهلوانية كلامية واندفاع باتجاه تخوين الآخر وإدانته فإن الأمر الاشمئزاز والغثيان. ويمكن التأكيد وفقًا لذلك أنه إذا غاب الحياء حل البلاء.

ثالثًا: التعري الأخلاقي Moral Nudity.

من معايير السلوك الأخلاقي القويم التزام الإنسان بمفهوم الستر، بمعنى اندفاعه باتجاه ستر الآخرين والتسامح مع ما يعتبره أخطاءًا أو خطايا؛ وبالتالي

عدم التشهير بهم، بل العمل على تصويب سلوكياتهم بالحسنى، والتعري الأخلاقي معناه في جزء منه على الأقل تنكر الشخص إراديًا للالتزام الأخلاقي المشار إليه، ويشير في جزءه الآخر إلى التربص بالآخر وتحري عيوبه ونقائصه وفضحه والتشهير به، فضلاً عن اختلاق وقائع وأحداث لا سند لها من الواقع لتشويه صورته وإهانته وتحقيره ورسم صورة ذهنية بغيضة له (Chater,2001).ويمكن تفهم مضامين مفهوم التعري الأخلاقي7من حيث طبيعته ومظاهره بالتدبر التأملي في مضامين قول الحق تبارك وتعالى بسم الله الرحمن الرحيم {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ & يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ & يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} سورة الحجرات، الآيات: 11–12–13).

ووجه الإعجاز في هذه الآيات واضح ولا سبيل للاتيان ببديل عنه مهما اجتهد علماء الاجتماع وعلماء النفس والطب النفسي في التوصيف، وتفيد

7 التعري الأخلاقي حالة يرى الباحث الحالي أنها قابضة بتلابيبها على الكثير من اللاعبين السياسيين في المشهد السياسي المعاصر، مع توافر مؤشرات مبدئية لاعتبارها ظاهرة سريعة الانتشار بين قطاعات ليست بالقليلة من البشر في الآونة الأخيرة، ويعتقد الباحث الحالي أن الحدث الثوري الحال كاشف لمؤشرات ومظاهر هذا التعري الأخلاقي وليس منشأ له؛ إذ يذهب الكثير من المحللين إلى أن الأحداث الثورية الجسام كانفجار وفوران مباشر تمثل كسرًا لإيقاع الحياة التقليدية بصورة مباغتة وكلية تكشف عن أفضل ما في البشر من سجايا وفضائل إنسانية، وتكشف في نفس الوقت عن أسوأ ما فيهم . وظاهرة التعري الأخلاقي جديرة بكل تأكيد بالبحث والاستقصاء العلمي للكشف عن طبيعتها وأبعادها ومؤشراتها ومحددات تخليقها وطرق التخلص منها.

المراجعة الموضوعية لواقع الحال على الأرض في أحاديث رجل الشارع العادي، فضلاً عن أحاديث النخب والفصائل السياسية ورجالات الإعلام الفضائي والشبكي بأن السخرية وسوء الظن بالآخر والغمز واللمز والتنابز بكل كريه والفسق الفاجر وتتبع نقائص الآخر وعوراته وأكل لحمه حيًا عنوان الحياة في هذه الفترة التي يُمارَسُ فيها التعري الأخلاقي بكل بجاحة وبلادة انفعال دونما أدنى اعتبار لمضامين {**لتعارفوا**} بعد التسليم يقينًا بأن التباين والاختلاف سنة الله في خلقه.

ويعبر(محمد حوامده،2013)عن أزمة التعري الأخلاقي بمظاهره وتداعياته في المشهد السياسي المعاصر في مقال له بعنوان "أوطان مدكوكة في مهب ضمائر موبؤة "إذ يشير إلى استعداد البعض لبيع الوطن وجودًا ومصيرًا بحفنة من المصالح الذاتية والرهانات العقيمة القاصرة، وإلى اندفاع نخب لديها استعداد في رمشة عين أن تبيع البلاد حجرا وبشرا في مزاد من المصالح السلطوية البخسة، وتفريخ الخراب والنفخ طولا في لهب جحيم التفرقة وشق الصفوف وشرب نخب الموت ضمن مآدب التآمر، طقوس يومية اعتادتها هذه الضمائر التي انسلخت عن إنسانيتها الأولى،ضمائر صماء عمياء لا تفقه إلا المشي في طريق واحد رسمته بالدم وسيجته بالنار وغطته بالموت لقطف ما تعبره رهانات مشروعة، نخب وتيارات تحركها ضمائر قبرت إنسانيتها وتنكرت لسليقتها الأولى وطبقت قانون غاب مفاده "من ليس معي فهو ضدي"، و"من لا يشبهني فهو مختلف عني وكل اختلاف هو مسوغ للقتل والإبادة."

رابعًا النرجسية والاستعلاء:

من مظاهر الأزمة السياسية المعاصرة حالة النرجسية والاستعلاء والإدعاء باحتكار الفهم والحقيقة لدى من يطلق عليهم في فضاء الهوس الإعلامي الفقهاء السياسيون، فيتعاملون مع الآخر بالميل إلى تشيئه، وسلب العلاقات الاجتماعية بين البشر غاياتها الانسانية الحقيقية والمتجسدة، في الحرية، والتقــدم، والتعــاون

والعدالة والانزلاق بدلاً من ذلك إلى قيم خيالية وعلاقات وهمية قوامها الاستعلاء؛ مما يفضي إلى تجذر الشعور بالغربة بمعاناة الإحساس بفقدان القيمة والمعنى والهدف فيندفع الإنسان العادي إما باتجاه الانسحاب من عالم الخبرة الاجتماعية أو الاندفاع باتجاه التخريب والاعتداء بصورة عشوائية على عنوان الحياة.

وينظر إلى النرجسية والاستعلاء السياسي كإطار عام لترسيخ ثقافة قطيعة الرحم الفكرية والوجدانية، فلا آخر يُقام معه حوار حقيقي يستهدف تجويد نوعية الحياة، إذ لا فهم للحياة ولا قدرة على التخطيط لوجهتها ومسارها إلا لدى ذلك النرجسي المتعالٍ.

رابعًا طرق التخلص من حالة التخوين والإدانة:

تتناحر مكونات النسيج المجتمعي الواحد بضراوة في محاولة منها جميعها لتحقيق غلبة ما، فما الذي يجعل هذه البلدان تتخبط بأنماط كهذه من الاقتتالي والتناحر السياسي في زمن يُفترض فيه بجميع التيارات والقوى التصرف بحكمة والعمل لشحذ الهمم والتكاتف والتعاضد بقصد التصدي لتحديات المرحلة وما يُرتقب في أفق غير بعيد؟ وهل يُعقل أن تعود العجلة إلى الوراء، وأن نمعن تالياً في نبش أحقاد الماضي، لنستحضر من التاريخ الغابر ذكريات منسية، أو حالة مطوية، من الفئويات والعصبيات والعنصريات القاتلة بدل المضي قدماً باتجاه الوحدة المفترضة على اختلاف صورها أو التكامل الموضوعي الذي تقتضيه الظروف الراهنة سياسياً واقتصادياً وأمنياً؟ (غسان ملحم، **2013**).

وبغض النظر عن سطوة حالة التخوين والإدانة ومصاحباتها النفسية على واقع الحياة السياسية المعاصرة، إلا أن الإدعاء باستحالة التخلص منها وتقويض مصاحباتها أمرًا لا سبيل إلى طرحه أو حتى مجرد مناقشته، إذ أن سياسة البؤس سياسي كان أو نفسي في واقع مهزوم لم تعد تجدي نفعا لأن الثورة

والحراك الثوري بما أدخله من مفاهيم جديدة ومتطورة خلخلت البنى المجتمعية وحركت المياه الراكدة مما يتطلب القطع مع الماضي بكل هزائمه وكوارثه والتوجه نحو سياسة منتجة وإيجابية تعيد رسم ابتسامة حياة على جبين الوطن بعودتنا جميعًا إلى حالة الطهر والنقاء الثوري والإنساني.

والسياسة التي تستحق اسمها، سياسة **مبدؤها** الفكر أو العقل، فكر الواقع أو عقل الواقع، **وغايتها** الأخلاق والحياة الأخلاقية،أما أن يُـرَوَجُ لتعبير أن السياسة والفعل السياسي تدبير لا علاقة له بالأخلاق،فإن ذلك يعني تسليم وإقرار بمشروعية العهر والفجر السياسي بالمعنى المشار إليه في متن الدراسة الحالية، إذ يرى عادة بعض المشتغلين بالهم السياسي مسألة تغيير المواقع والقفز على المبادئ والتحول في لغة الفعل السياسي أمور تمليها شروط الحنكة والخبث السياسي، بينما يسمي المواطن العادي ذلك كذبا ونفاقا سياسيا».

والأمر يحتمل تصورًا آخر يُرْتَدُ فيه إلى وصف آخر مفاده أن مظاهر الخبث السياسي وتعلقاته بظاهرة العهر والفجر السياسي بمؤشراتها البادية للعيان أمور راجعة إلى أخلاق ممارس الفعل السياسي، فالممارس الذي يبيع ضميره موصوم بتدني الأخلاق من جوهرها العام، والآخر الذي يبيع ولاءاته هو ضآل وفقا للمعايير والأخلاقيات التي تدين بها كل المجتمعات البشرية، والممارس الذي يتجاهل قضايا الوجود والمصير هو سفيه وليس محنكا سياسيا، فالممارسات السياسية الخبثية دالة في جزءها الرئيسي لانهيار ضمير وأخلاقيات ممارسيها ولا علاقة لها على الإطلاق بالأخلاق السياسية.

وتجدر الإشارة كذلك إلى أن حالة العبث السياسي الحال والتحافه بالعهر والفجر السياسي أمرًا يتعذر تحميله للتركيبة النفسية لممارسي الفعل السياسي فقط، بل يتحمل المواطن العادي جزءًا منه فهو الذي جاء بالكثير من متصدري الفعل السياسي الخارجين عن الممارسة الأخلاقية في طرحهم السياسي، بأخطاء بنيوية في اختياراته وبإبعاده لفعل التعقل الرشيد؛ مما يفضي إلى

تمكين رموز سياسية تقف حجر عثرة في عملية صنع القرار السياسي والتنموي الرشيد.

كما لا يمكن إنكار أن إقرار تيارات المعارضة لفسلفة الابتزاز كعنوان لممارسة الفعل ساهم بصورة عامة في مظاهر الفساد السياسي؛ وأفضى إلى غياب الثقة بالأداء السياسي العام.

(ت)الأخلاق السياسية:

يفترض أن تكون الدولة الحاضن الأكبر للتسامح والصانعة له والمؤصلة إياها في البنية النفسية للبشر، وهو يتطلب إعادة صياغة العلاقة بين الأنا والآخر على أساس المواطنة والمساواة الكاملة، ومن خلال التربية والاستفادة من المخزون القيمي للأديان وللفطرة الإنسانية السوية، عن طريق التنشئة السياسية ببرامج وخطط تعليمية تستهدف الإنسان منذ مراحل عمره المبكرة

الرشد السياسي :

يرتبط الرشد السياسي بتعبير ألح الباحث عليه كثيرًا في متن الدراسة وهو تعبير" التدبير السياسي"، وتدل كلمة سياسة على تسيير أمور مجموعة معينة وتوجيهها نحو التنظيم والتعاون والتمدن والتفاعل وتحقيق الخير المشترك وذلك بمحاولة التوفيق بين التوجهات المختلفة والنزاعات المتباينة، وفي نفس الوقت تقتضي تتتبع جملة من الاجراءات والطرق من أجل تحقيق المصلحة المشتركة.

ولا يتحقق ذلك إلا بتدبير سياسي مرتكز على التعقل والمعرفة والتروي ، والسياسة تقتضي اللين والرفق والتأني مع الشدة في موضع الشدة وتضبط المصلحة وتحفظ الذات وتحرص على حسن القيام بأمور الناس وتقضي حاجاتهم بالكيس والذكاء وتصون الأعراض وتنقاد للعدل وتصبر على الأذى وتطرح الشهوات وتؤثر الحسن من اللذات والإنصاف من الفضائل وتستعمل القوة لنجدة الضعيف ورفع الظلم ومقاومة الفساد(ألان باديو، 2011، ص ص: 20–22).

والرشد السياسي وفقًا لهذا التصور ناتج تفاعل عدة مكونات في بناء مستوى معرفي نقدي عند الفرد أو الجماعة يؤهلها لتجاوز الأزمات والابتعاد عن أسباب الإخفاق في المجالين الاجتماعي والسياسي.

وللفعل السياسي الرشيد متطلبات تتمثل فيما يلي:

- عقل متزن قادر على التفكير في أسوء الاحوال.
- القدرة على ترويض الانفعالات والتحكم فيخا وتوجيهها الوجهة الصحيحة.
- سلوك متزن لا يتجاوز الحدود والضوابط الأخلاقية في حالتي الحزن والفرح وفي حالتي الانتصار والانكسار.

(ج)التسامح الإنساني:

ويمثل طرح(إدريس لكريني،**2013**) لما سماه طرق كسب رهان التغيير الإيجابي اتساقًا مع ما يمكن أن يُنتهى إليه من توصيف لمضامين عناصر الأخلاق السياسية والرشد السياسي والطهر الأخلاقي والتسامح الإنساني

(1)القدرة على تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة.

(2)الاقتناع بأن العودة إلى الماضي لا ينبغي أن تنسي هذه التيارات تحديات العالم الراهن بتغيراته المتسارعة والمتشابكة.

(3)الانضباط للعمل السياسي بالأخلاق السياسية والرشد السياسي وعدم الخلط بينه وبين العمل الدعوي.

(4) تجاوز اختلالات وانحرافات الأنظمة السابقة(التكفير،الإقصاء،التخوين، العنف، الرأي الواحد)

(5) تجاوز الخطابات التي تحاول إضفاء طابع القداسة والنقاوة على مواقف وعمل التيارات الإسلامية،لأن منطق العمل السياسي ومصالحه لا تحتمل ذلك.

(6) تلافي مظاهر الانتقام والإقصاء والتخوين في مواجهة الخصوم، وترسيخ ضمان بطاقة العودة للخصوم السياسيين.

(7) تجاوز الأحادية والثقة المفرطة في النفس.

(8) القدرة على تدبير التنوع المجتمعي والاختلافات بصورة ديمقراطية، تسمح بإسماع أصوات الجميع.

تأملات ذاتية بين يدي الدراسة:

استنتاجات تفسيرية:

(1)يفترض أن مهمة شباب الثورة باعتبارهم وقودها ومحركها الرئيسي تلقائيًا في إنفاذ مشيئة الخالق جل وعلا هي تمثيل للثورة والفعل الثوري الحقيقي داخل الأحزاب،وما هو واضح أن البعض منهم ــ وقع في حالة تناقض نفسي حقيقي متمثلة في التعارض بين الانتماء الثوري والانتماء الحزبي وأعلى كثيرُ منهم الانتماء الحزبي؛ وبالتالي كانت لعبة المغانم هي فلسفة تسيير فعلهم الثوري فيما بعد ليصبح فعلاً متشنجًا يفتقد الارتباط بالغاية الأساسية، وليطبق عليهم ما يصح تسميته فلسفة التوظيف والاستغلال السياسي من قبل هذه الأحزاب بتصديرهم في المشهد بفعل ترويجي يخفي ورائه مقصدًا استغلاليًا أو على الأقل تشويه الآخر.

(2) ممارسة لعبة الخانات المنقسمة ثم التخندق داخلها ما بين(يميني ــ يساري ــ إسلامي ــ علماني ــ رأسمالي ــ مدني ــ عسكري ــ ثائر ــ بلطجي ــ...)،يوحي أن نظم السياسة في الدول التقليدية مازالت تتمسك بآلية فرق تسد بكل ما يرتبط بذلك من توظيف أفعال " يُعَرِّف ويُحَجِّم ويُبَسِّط ويبتر ويُأدلِج ويسطح،ثم يَكْذِب ويحرض ويقيم الفتنة مع سوّقُ الناس إلى هذه الخانات الكاذبة سوقا،والإصرار عليها وعلى صدقها، بل وتكريس خطاب إعلامي ضاغط يوحى بأن هذه ليست فقط فئات منفصلة داخل خاناتها بل إنها أضداد متناحرة، متنافرة المصالح، لا يستقيم الأمرلأحدها إلا على حساب الآخر (أهداف سويف، 2013).

(3) التعايش والالتقاء على نقطة سواء أمرًا يمثل في ظل الوعكة السياسية المعاصرة قدرًا محتومًا إذا ما أريد الحفاظ على بنية المجتمع ومفهوم الوطن، وأن لا بديل عن تسوية سلمية بدايتها كسر دائرة التخوين والإدانة واقتناع كل الأطراف أن التمترس في المواقع الحالية وممارسة المزيد من فعل التخوين والإدانة غير ممكن سياسيًا بصرف النظر عن الموقف الأخلاقي منه.

(4) لا بد أن يقر في التكوين النفسي للموزاييك السياسي العابث الحال بنا، فضلاً عن رجل الشارع العادي بطبيعة الحال مفهوم أن الجمود الحالي لمسار الفعل الثوري الحقيقي لا معنى سياسي له ولا إثمار يُرجى من ورائه، وأن العنف العشوائي والعراك كدالة لحالة التخوين والإدانة يبقى عملاً عبثيًا مُدانًا أخلاقيًا وقيميًا بكل تأكيد.

(5) لا يمكن توقع انفراجات إيجابية في الواقع الحال مع استمرار حالة الاستنزاف والإنهاك بدون أفق لكسر معادلة العجز المتبادل التي تحكم الوضع السياسي المعاصر ويقصد به على نحو ما يرى (ياسر علوي ،2013) عجز السلطة عن إلغاء المعارضة والمضى بشكل أحادى فى تنفيذ أجندة الحكم مقابل عجز المعارضة عن بلورة بديل للسلطة أو عن إسقاط هذه السلطة عبر الاحتجاج فى الشوارع وميادين العمل.

(6) الوحدة الحقيقية التي ينبغي التخندق بها هي وحدة المصير، وليس أمامنا خيار في مركب إما...أو،إذ أن إما...هي البديل الأكثر أمنًا وسلامة والأكثر دفعًا باتجاه تجويد نوعية حياة سامية يستحقها المصريون بكل تأكيد وأن الفرصة البديلة(صفر)ويمكن تسميتها فرصة اختيار الانتحار الوجودي والمستقبلي.

(7) ربما تعطينا فكرة الجهاد الأخلاقي والثقافي أملاً في الخلاص من مركب التخوين والإدانة بانصراف الجميع لبناء ثقافة السلام والعدل والتقبل

والتسامح والتراحم، كبديل لفكرة الجهاد الاقتتالي الذي يتمترس أنصـــاره في خندق إلغاء الآخر وتصفيته معنويًا أو جسديًا.

(8) التخندق داخل آتون التدبير السياسي غير المرتكز على التدبير العلمي إهانة للوطن وإماتة لوجوده ومصيره.

(9) يجسد المشهد السياسي المعاصر بعبثيته البادية للعيان حالة فاشية سياسية لا سبيل لإنكارها، وترتكز ملامح الفاشية السياسية في مقولات من قبيل " إما معنا أو ضدنا" والتعبير عنها سلوكيًا في إقصاء واغتيال معنوى وفق مركب التخوين ــ الإدانة كآلية، بسطحية بالغة فى السياسة المصرية من قبل بعض تيارات ورموز **اليمين الدينى** وكذلك بعض تيـــارات ورمـــوز **الليبراليين واليسار، وتوفير سياق** ينشط فيه شياطين التصنيف العقائـــدى السياسي وأبالسة التخوين السياسى والدينى.

(10) يتراوح المشهد السياسي المعاصر بعبثيته البادية للعيان بين حالتين كلتيهما دافع باتجاه الخسارة الوجودية الحقيقية، ما لم تُستعادُ حالة النقاء الثـــوري والطهر الأخلاقي بتدبير سياسي أو موجة ثورة ثانية باتت مؤشراتها بادية للعيان :

(ص)الحالة الأولى : لعبة الوصول للصفر **Zero – Sum game**

(ض)الحالة الثانية : لعبة الكل أو لا شيء **All or nothing**

وقوام الحالتين المشار إليهما الغرق في مركب التخوين ــ الإدانة وتوسيع نطاقه وانتقاله من المجال السياسي إلى المجال المجتمعي.

(11) إعادة الاعتبار لمفهوم الديمقراطية كضمان حقيقي للخلاص مـــن عبثيـــة المشهد السياسي الحال، فالديمقراطية ليست حدثًا ينتهـــي بنهايـــة اليـــوم الانتخابي بتأصيل العبودية لنتائج الصندوق الانتخابي وتفـــويض الـــرابح هكذا تلقائيًا بالتدبير السياسي والحياتي دون رقيـــب، بـــل الديموقراطيـــة الحقيقة مفهوم وعملية وإجراء، لا يمثل الصندوق الانتخابي إلا إجـــراءًا

واحدًا فقط من إجراءاتها، الديمقراطية أسلوب حياة يجب أن تستهدفه آليات التنشئة الاجتماعية ومؤسسات تشكيل الشخصية، وتمسك فصيل ما بشرعية الصندوق، لا يمنع من القول بأن للديمقراطية شكل آخر أكثر مباشرة وهي ديموقراطية الشرعية الشعبية الناتج عن الحراك الشعبي العام الهادف إلى تغيير الوجهة والمسار.

الدراسات والبحوث المقترحة :

(1) مركب التخوين ــ الإدانة: ماهيته، أبعاده، قياسه، دراسة سيكومترية.

(2) دراسة طبيعة العلاقة بين أحادية الرؤية والاتجاهات التصلبية والمسايرة/المغايرة والتخوين والإدانة لدى طلاب الجامعة في دول ثورات الربيع العربي.

(3) البؤس النفسي مظاهره ومؤشراته وعلاقته بلواحق الفعل الثوري.

(4) مظاهر مركب التخوين ــ الإدانة في وسائل الإعلام وآليات التواصل الاجتماعي (الفيس بوك ــ تويتر كنموذج).

(5) حالة التخوين والإدانة في إطار تحليل مضمون تعليقات القراء على المقالات المنشورة على مواقع الصحف الإلكترونية.

(6) النمذجة البنائية لمركب التخوين ــ الإدانة وأساليب التفكير والعزو السببي ومركب التفاؤل/التشاؤم.

(7) الإعلام السياسي ودوره في تخليق ظاهرة التخوين ــ الإدانة: دراسة في تحليل المضمون.

(8) التنبؤ بحالة التخوين ــ الإدانة على ضوء العدائية ومركز الضبط

(9) التعري الأخلاقي: ماهيته، أبعاده، مؤشراته، محدداته، وطرق قياسه(دراسة في بناء المفهوم).

(10) البؤس النفسي: ماهيته، أبعاده، مؤشراته، محدداته، وطرق قياسه(دراسة في بناء المفهوم).

(11)الحالة النفسية العامة للمصريين بعد ثورة(25) يناير: دراسة استكشافية.

مراجع الدراسة

أولاً: المراجع العربية.

(1) إبراهيم البليهي (2007). حروف وأفكار : صراع المثقفين والأكاديميين على المواقع، موقع جريدة الرياض على شبكة المعلومات العالمية، الرابط الإلكتروني التالي:

http://www.alriyadh.com/iphone/article/12448

(2) إبراهيم الهضيبي (2012). نقد بلا عداء وبلا تخوين، جريدة الشروق المصرية، عدد الجمعة، 27 أبريل، 2012.

(3) أحمد إبراهيم الخضر (2012). مفهوم اليسار واليسارية، موقع شبكة الألوكة الثقافية، الرابط الإلكتروني التالي:

http://www.alukah.net/culture/0/41000/

(4) أحمد الحباسي (2012). الاخوان ... زمن الاخوان، جريدة بانوراما الشرق الأوسط، السبت الأول من مايو 2012.

(5) أحمد الحباسي (2012). الإخوان في العالم العربي .. الديكتاتورية في عز أيامها، مجلة بانوراما الشرق الأوسط، السبت الأول من تشرين 2012، الرابط الإلكتروني التالي:

http://www.mepanorama.com/190650/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AE%D9%

(6) أحمد خليل خير الله (2012). التكفير السياسي في مصر، جريدة الأهرام العربي، 1 نوفمبر 2012.

(7) أحمد طه (2011). الإسلاميون والعلمانيون في مصر.. هل إلى توافق من سبيل؟، الموقع الإلكتروني لمركز الجزيرة للدراسات، الرابط:

http://studies.aljazeera.net/issues/2011/2011921164622125137.htm

(8) أحمد عبد الله (2012). أزمة مصر تنعكس سلبا على نفسية المواطن، تقرير مركز الجزيرة للدراسات، الرابط الإلكتروني التالي:

http://www.aljazeera.net/news/pages/c7b50edb-480b-40c3-a2ba-713e2d4c01c2

(9) أحمد مخيمر (2013). العناد بين السلبية والإيجابية، متاح على شبكة المعلومات العالمية، الرابط الإلكتروني التالي:

http://www.alukah.net/Social/1006/50041

(10) أحمد يحيى عبد الحميد (2013). وسط لغة التخوين ووصلات الرَدْح.. "الوفد" تسأل: ماذا حدث للمصريين؟، تحقيق: نشوة الشربيني، بوابة الوفد الإلكترونية، الأربعاء، 19 يونيو 2013.

(11) إدريس لكريني (2013). التيارات الإسلامية وتحولات الحراك في المنطقة، ، الرباط، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، قسم دراسات الدين والسياسة ، المملكة المغربية، متاح على الرابط الإلكتروني التالي:

http://www.mominoun.com/arabic/ar-sa/articles/2949

(12) إسماعيل نوري الربيعي (2005). الثقافي والإستبداد، في "الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة"، تحرير: علي خليفة الكواري، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

(13)ألان باديو (2011). فشل اليسار، الطبعة الأولى، ترجمة عزيز لزرق ومنير الحجوجي، الدار البيضاء دار توبقال للنشر.

(14)آلفين توفلر (1990). صدمة المستقبل: المتغيرات في عالم الغد، ترجمة، محمد على ناصف، القاهرة، لجمعية المصرية لنشر المعرفة و الثقافة العالمية.

(15)أميرة عبدالله الجاف (2013). دراسة نظرية في مفهوم الاعلام السياسي، مجلة كوانه الإلكترونية، الرابط الإلكتروني التالي: http://kawanakurd.com

(16)أمين اسكندر (2013). فقر الفكر وبؤس الخيال، الموقع الإلكتروني لجريدة المصري اليوم، الثلاثاء، 16 يونيو 2013 ، الرابط الإلكتروني التالي:

http://www.almasryalyoum.com/node/1949141 (17)

(18)أنتوني جيدنز (2002). مقدمة نقدية في علم الاجتماع، ترجمة : أحمد زايد وآخرون، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

(19)أهداف سويف (2013). عن الخانات وعابريها، جريدة الشروق، النسخة الإلكترونية، الأربعاء 27 مارس 2013.

(20)إيمان عبد القدوسي (2013). هرس الأفكار، الموقع الإلكتروني لجريدة الوسط المصرية، الرابط التالي:

http://el-wasat.com/portal/Artical-55714778.html

(21)أيمن نور (2013). كل واحد بيشد حته من البلد، جريدة المصريون، العدد ()، 10 مارس، متاح على الموقع الإلكتروني للجريدة الرابط الإلكتروني التالي:

http://www.almesryoon.com/permalink/105720.html

(22)إيهاب عزازي (2013). لماذا انهارت أخلاق المصريين؟ مقال منشور على الموقع الإلكتروني لجريدة المصريون، الرابط الإلكتروني التالي:

http://almesryoon.com/permalink/129856.html

(23)باسكال سلان (2010). الليبرالية، ترجمة: محمد تمالدو، مراجعة: نوح الهرموزي، مشروع منبر الحرية، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع.

(24)تيسير عبد الجبار الألوسي (2012). تداعيات وأفكار في بعض أولويات العمل السياسي وعلاقة تياراته بالناس ، إصدارات موقع الحوار المتمدن على شبكة المعلومات العالمية، الرابط الإلكتروني التالي :

http://m.ahewar.org/s.asp?aid=302567&r=0&cid=0&u=&i=0&q=

(25)ثناء محمد صالح (2013). العولمة وتحول العائلة إلى أسرة: الغرب محللاً ومستشرفًا، سلسلة إصدارات المؤتمر الوطني العراقي، متاح على شبكة المعلومات العالمية، الرابط الإلكتروني التالي:
http://www.almutmar.com/index.php?id=200811477

(26)جعفر الشايب (2012). التشكيك في الولاء للوطن ، مركز آفاق للدراسات والبحوث ، الرابط الإلكتروني التالي :

http://aafaqcenter.com/index.php/post/1282

(27)جعفر الشايب (2013). نحن والآخر، جريدة الشروق القطرية، العدد (595)، ص (17)،

.2013/7/21

(27) حاتم خاطر (2013). شماعة لتعليق الفشل: المعارضة والإخوان و«نظرية المؤامرة ! متاح على موقع شبكة محيط الإخبارية.

(28) حازم نهار (2013). أمراض فسيبوكية معيقة للحوار، موقع الحوار المتمدن، الرابط الإلكتروني التالي:
http://www.ahewar.org/news/s.news.asp?nid=1190557#.Ub353bV28dU

(29) الحبيب العايب (2010). مفهوم الهامشية ومعايير التهميش- ورقة 5 مارس.

(30) حسام تمام (2012). الإخوان المسلمون: سنوات ما قبل الثورة، القاهرة، دار الشروق.

(31) حسن توركماني (2000). الدهاء في الحرب، عمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(32) حمدي شعيب (2013).الثَّعْلَبُ ... والْخِيَارَاتُ الْمُرَّة!، الموقع الإلكتروني لجريدة المصريون، الرابط التالي: http://www.almesryoon.com/permalink/115590.html

(33) خالد جميل محمد (2013). التكفير السياسي اللاديني في غربي كردستان، http://dilname.com/?p=16794

(34) خلود السباعي (2011). الاتجاهات المتصلبة كنمط للعلاقة مع الآخر، المجلة الإلكترونية لشبكة العلوم النفسية، المجلد السادس – العدد 29-30- شتاء و ربيع 2011. تصدر عن شبكة العلوم النفسية العربية.

(36) ذياب الطائي (2011). التضليل الإعلامي من صناعة الخبر إلى صناعة السينما، دمشق، دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع.

(37) رشدي فام منصور وقدري حفني (1998). مقياس أحادية الرؤية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

(38) رفيق حبيب (2011). تنافس أم استقطاب، الموقع الإلكتروني لجريدة فجر الحرية (25) يناير، http://www.25yanayer.net/?p=15900

(39) رمضان الغنام (2012). النفعية في الخطاب الليبرالي المعاصر، موقع مركز التأصيل للدراسات والبحوث (تأصيل)، على شبكة المعلومات العالمية، الرابط الإلكتروني التالي:
http://taseel.com/display/pub/default.aspx?id=2259&mot=1

(40) رمضان الغنام (2013). لليبرالية والليبراليون العرب: مقاربة نقدية، موقع تأصيل ، مركز التأصيل للدراسات والبحوث على شبكة المعلومات العالمية، الرابط الإلكتروني التالي:
http://taseel.com/display/pub/default.aspx?id=3067&mot=1

(41) زهير الخويلدي (2013). فن السياسة وحسن التدبير، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، مقالات قسم الدين والسياسة، الرباط، المغرب، متاح على الرابط الإلكتروني التالي:
http://www.mominoun.com/arabic/ar-sa/articles/3169

(42) زياد بهاء الدين (1996). مخاوف وتحفظات من مشاركة التيار الاسلامي في التنافس الديمقراطي، مشروع دراسات الديمقراطية في البلدان العربية، اللقاء السنوي، متاح على موقع الجماعة

العربية للديمقراطية، الرابط الإلكتروني التالي:
http://arabsfordemocracy.org/democracy/pages/view/pageId/1026

(43) سلمى الورداني (2013). مَن يحدّد هوية الثقافة المصرية؟، الموقع الإلكتروني لجريدة السفير العربية، الرابط التالي:
http://arabi.assafir.com/Article.asp?aid=962&refsite=assafir&reftype=leftmenu&refzone=switcher

(44) السيد ياسين (2002). الأجيال والسياسة في مصر المعاصرة، جريدة الأهرام، 1 يناير ، 2002.

(45) السيد ياسين (2013). أفول الدولة العربية المعاصرة .. مصر نموذجاً، مجلة الديمقراطية، العدد (50) أبريل 2013.

(46) السيد ياسين (2013). المسكوت عنه في المشهد السياسي المعاصر، جريدة الأهرام، 14 فبراير 2013.

سامح عسكر (2012). دور العقلانية الإسلامية في إعادة صياغة الوعي الثوري، موقع جسد الثقافة، الرابط التالي: http://aljsad.com/forum85/thread3718512/

(47) سيد يوسف (2006). ثقافة الإقصاء السياسي، الموقع الإلكتروني للحوار المتمدن، الرابط، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=61824

(48) شريف الصيني شي سي تونغ (1999). الثقافة والعصرنة، مجلة الفكر السياسي، العدد (7)، ، (ص ص: 191- 195)، دمشق، المؤسسة العربية لتوزيع المطبوعات .

(49) شريف محي الدين (2012). الإسلاميون وآليات التغيير في الدولة، الرباط، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، قسم دراسات الدين والسياسة ، المملكة المغربية.

(50) صبرى محمد خليل (2008). إشكاليات الفكر السياسي السوداني، http://omdurmaninternet.forumotion.net/t146-topic

(51) عاطف علبي (2003). أضواء على التسامح والتعصب،ط1، بيروت، دار الفكر اللبناني.

(52) عامر صالح (2013). سيكولوجيا التعبئة الحشدية، متاح على الرابط الإلكتروني التالي: http://www.iraker.dk/index.php?option=com_content&task=view&id=11757&Itemid=1

(53) عامر صالح (2013). فصام العقل واضطراب الاجترار في النقد السياسي، جريدة المثقف، العدد (2476)، الأحد 2013/6/16.

(54) عبد السميع سيد أحمد (2013). النرجسية الثقافية : قراءة في إريك فروم ((التسامح))، موقع أ.د. على وطفة، الرابط الإلكتروني التالي: http://www.watfa.net/bmachine/show.php?.html

(55) عبد اللطيف الهرماسي (2010). "ظاهرة التكفير في المجتمع الإسلامي"، الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات.

(56) عبد الله العروي (1993). مفهوم الحرية، ط5، بيروت، المركز الثقافي العربي.

عبد المحسن هلال (1998). وإذا سألت عن مثقفنا تراه دائم الانشغال بـــ "التكفير الوطني، الموقع الإلكتروني لجريدة الحياة اللندنية، الرابط الإلكتروني التالي: http://daharchives.alhayat.com/issue_archive/Hayat%20INT/1998%20to%202002/Alhayat_1998/General/248/24807.xml.html

(57) عبد الوهاب الديلمي (1418). عمل الجماعي: محاسنه وجوانب النقص فيه، صنعاء، مكتبة الإرشاد.

العربي فرحاتي (2011). الاتجاهات التعصبية والتفكير، إصدارات المؤتمر العالمي عن ظاهرة التكفير (ظاهرة التكفير : الأسباب .. الآثار .. العلاج)، المدينة المنورة، في الفترة من 22-24 شوال 1432 هـــ، تنظيم وإشراف جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، متاح على شبكة المعلومات العالمية، الرابط الإلكتروني التالي: http://amnfkri.com//dirasat/tkfeer/Aletjahat_waltasbat_waltkfyr.pdf

(58) عز الدين مبارك (2013). بؤس السياسة في واقع مهزوم بؤس السياسة في واقع مهزوم، جريدة السفير التونسية،

(59) عزمي عاشور (2013). مستقبل الدولة الوطنية على ضوء حكم الإسلاميين، مجلة الديمقراطية، العدد (50)، أبريل 2013.

(60) على محمد على (2013). أسلمة المجال العام بعد الثورة.. بين التعددية والإقصاء ، الموقع الإلكتروني لمركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، الرابط التالي:

http://acpss.ahramdigital.org.eg/News.aspx?Serial=101

(61) علي بن محمد بن حبيب الماوردي (1994). الأحكام السلطانية، ج1، تحقيق: أحمد البغدادي، دار الكتب العلمية.

(62) علي ليلة (2012). أزمة مصر تنعكس سلبا على نفسية المواطن، تقرير مركز الجزيرة للدراسات، الرابط الإلكتروني التالي:

http://www.aljazeera.net/news/pages/c7b50edb-480b-40c3-a2ba-713e2d4c01c2

(63) عماد الدين الرشيد (2009). بين التكفير الديني والتكفير الوطني، شبكة الألوكة الشرعية، الرابط الإلكتروني التالي: http://www.alukah.net/sharia/0/6095/

(64) عماد جاد (2013). التعليم فى زمن الإخوان، جريدة التحرير المصرية، 7 أبريل، 2013، متاح على الرابط الإلكتروني التالي:

http://tahrirnews.com/columns/view.aspx?cdate=07042013&id=9cb4db36-a595-44d3-a7ed-52ec45291397

(65) عمرو حمزاوي (2013). السياسة المصرية حين تستنسخ فاشية بوش!، جريدة الوطن، لإثنين 2013-06-10

(66) عياد البطنيجي (2013). الليبرالية والربيع العربي، مجلة منبر الحرية، الموقع الإلكتروني، الرابط، http://minbaralhurriyya.org/index.php/archives/7497

(67) غسان ملحم (2013). الإسلام السياسي في زمن الحداثة والعولمة،الموقع الإلكتروني لجريدة الأخبار السورية، الرابط الإلكتروني التالي:

http://www.al-akhbar.com/node/187253

(68) فاروق جويدة (2011). محنة العقل المصرى، الموقع الإلكتروني لجريدة الأهرام المصرية، الرابط التالي:

http://digital.ahram.org.eg/Community.aspx?Serial=504957

(69) فريد لمريني الوهابي (2003). الحداثة والتحديث السياسي: فكرة الليبرالية في المغرب ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط.

(70) فهمي هويدي (2013). انتصار لزمن الفرجة، الموقع الإلكتروني لجريدة الشروق الإلكترونية، الخميس 18 يوليو، 2013.

– فهمي هويدي (2013). هيكلة العنف، جريدة الشروق المصرية، 27/مارس، 2013.

(71) قاسم حسين صالح (2013). العراقيون وصناعة الأزمة، وكالة أنباء عراقيون، الرابط التالي:

http://www.iraqyoon.net/articles/news_details.php?details=393

(72) قدري حفني (2013). الشخصية الفاشية، جريدة ميدان مصر، الأربعاء، ١٩ يونيو، ٢٠١٣

(73) محمد أبو الغار (2013). نظام في غيبوبة، جريدة المصري اليوم، العدد (3291)، الثلاثاء 2013/6/18.، ص: 17.

(74) محمد أحمد النابلسي (1999). سيكولوجيا السياسة العربية: العرب والمستقبليات، بيروت، دار النهضة العربية.

(75) محمد إسماعيل حكيمي الأفغاني (2013). ثقافة سياسية،

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8

(76) محمد العبودي (2012). وجهة نظر نفسية:الذكاء والدهاء، الموقع الرسمي للمؤتمر الوطني العراقي،

http://inciraq.com/pages/view_page.php?id=57747

– محمد بن يعقوب الفيروزبادي (2005). القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، المكتبة الوقفية.

(77) محمد العربي (2013). الإسلاميون والهوية والدولة: إفلاس الإيديولوجيا، الرباط، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، قسم دراسات الدين والسياسة ، المملكة المغربية.

(78) محمد حسن غانم (2012). الشخصية المصرية المعاصرة: قراءة في ثورة 25 يناير "رؤية نفسية وشهادة شخصية"، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

(79) محمد حوامده (2013). أوطان مدكوكة في مهب ضمائر موبوءة، موقع أخبار سكاى نيوز على شبكة المعلومات العالمية، الرابط الإلكتروني التالي:

http://www.skynewsarabia.com/web/blog/264336/%D

(80) محمد ربيع (1994). الفكر السياسي الغربي، فلسفاته ومناهجه من أفلاطون إلى ماركس، الكويت، مطبوعات جامعة الكويت.

(81) محمد زاهد كامل جول (2012)، التَّديُّن السِّياسيّ الإسلاميّ: آفاتُ الحَدَاثة الماديَّة المُسْتَعَارَة، مجلة التسامح، تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الدينية، سلطنة عمان، الرابط الإلكتروني التالي:

http://www.altasamoh.net/Article.asp?Id=497

(82) محمد عادل شريح (2011). الثورات العربية و ملامح الفكر السياسي العربي الجديد، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر.

(83) محمد عبد الفتاح المهدي (2007). الشخصية المصرية، البيطاش سنتر للنشر والتوزيع، سلسلة الدراسات التربوية والنفسية، الإسكندرية.

– محمد عز العرب (2004). لماذا تنتشر نظرية ((المؤامرة)) فى الفكر العربى؟، الأول من يونيه (2004)، الموقع الإلكتروني لجريدة الأهرام، ملف الأهراف الاستراتيجي، الرابط التالي:

http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=724998&eid=7887

(84) محمد على فخرو (2009). عندما يغيب الحياء في السياسة، الموقع الإلكتروني لجريدة الراية القطرية، الرابط الإلكتروني التالي:

http://www.raya.com/news/pages/834b29a6-3564-46cc-a138-a833f3c5a3e4

(85) محمد مستجاب (1999). البؤس الجميل "قراءة في المجموعة القصصية نبش الغراب في واحة العربي " ، كتاب العربي، العدد (7)، لمجلة العربي" وزارة الإعلام – دولة الكويت.

(86) محمد يسري إبراهيم (2013). المشاركات السياسية المعاصرة في ضوء السياسة الشرعية،

القاهرة، دار اليسر للطباعة والنشر والتوزيع.

(87) محمود السيد دغيم (2012). مفهوم التخوين بين الشعوب المقهورة والأنظمة العسكرية المحتلة، موقع الحوار المتمدن على شبكة المعلومات العالمية، الرابط الإلكتروني التالي:

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=31700

(88) مركز الجزيرة للدراسات (2011). الإسلاميون والعلمانيون في مصر.. هل إلى توافق من سبيل؟، متاح على موقع المركز على شبكة المعلومات العالمية، الرابط الإلكتروني التالي:

http://studies.aljazeera.net/issues/2011/2011921164622125137.htm

(89) مصطفي حجازي (2005).التخلف الاجتماعي، ط10، القاهرة، المركز الثقافي العربي.

(90) مصطفي حجازي (2007). الإنسان المهدور، ط1، القاهرة، المركز الثقافي العربي.

(91) مصطفي حجازي (2007). علم النفس والعولم، ط2 ، القاهرة، المطبوعات للتوزيع والنشر.

– معتز بالله عبد الفتاح (2013). لثورة والقضاء: التطهر والتطهير.. الأخونة والتخوين، جريدة الوطن المصرية، الجمعة: 2013/4/19.

(92) معمر عطوي (2012). السياسة تقتل الثقافة فينا، الموقع الإلكتروني لجريدة برس نت، الرابط التالي:

http://www.akhbarboom.com/archives/36888

(93) منى فياض (2013). بانوراما الخوف والتعصب سوف تقضي على الوطن، المجلة الإلكترونية لشبكة العلوم النفسية العربية، الرابط الإلكتروتي التالي:

http://www.arabpsynet.com/Documents/DocFayadhParFear&Intol.pdf

(94) مولاى البهطاوي بطاط (2012). العدالة والتنمية والسفه السياسي، موقع محرك البحث الإخباري مغرس، الرابط التالي:

http://www.maghress.com/hespress/57037

(95) مي محمد مجيب (2011). سياسات التضمين والتهميش. دراسة الحالة المصرية (1991–2008)، رسالة دكتوراهــ غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.

(96) نادية مختار عثمان (2011). ثقافة التخوين، الموقع الإلكتروني لصحيفة سودانايل، الرابط التالي: http://www.sudanile.com/index.php?option=com_content&view=article&id=25288:2011-03-18-07-18-17&catid=228:2009-06-02-08-38-6&Itemid=64

(97) نجلاء محمد رسلان (2000). العلاقة بين أحادية الرؤية والاقصائية وبين العصابية لدى عينة من الطلاب الجامعيين، رسالة غير منشورة، كلية التربية، جامعة الأزهر.

(98) هاشم رامي (2013). من الكبت إلى التعجل: الأبعاد النفسية لـــ "التحولات الثورية" في المنطقة العربية، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، مؤسسة الأهرام.

(99) هربرت، ا، شيللر (1999). المتلاعبون بالعقول، ترجمة: عبد السلام رضوان، عالم المعرفة، العدد (243)، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

(100) هناء البيضاني (2012). مفهوم الاستبداد في الفكر السياسي الإسلامي الحديث والمعاصر، ط1، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية.

http://aafaqcenter.com/index.php/post/1596

(101) وائل فاضل علي (2011). سيكولوجية الخيانة،

http://bafree.net/alhisn/archive/index.php/t-124956.html

(102) وائل قنديل (2013). جهاد النكاح فى إعلام السفاح، الموقع الإلكتروني لجريدة الشروق المصرية، 15 يوليو 2013، الرابط الإلكتروني التالي:

http://shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=15072013&id=dea1c85d-0299-4ecc-8531-096f0d51e4ad

(103) وسام فؤاد (2007). ترشيد الإقصاء السياسي والثقافي.. بين الشريعة والإسلاميين، موقع الحوار المتمدن ، الرابط التالي:

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=98864

(104) ياسر علوي (2013). عن التسوية المؤلمة التي نحتاجها، جريدة الشروق، الأربعاء، 27 مارس.

(105) ياسين الحاج صالح (2012). الثورة، الإسلام، وامتلاك السياسة: في نقد "التيار المدني" والاستقطاب المدني الإسلامي، الموقع الإلكتروني للحوار المتمدن، الرابط التالي:

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=339328

- **ثانيًا المراجع الأجنبية :**

(106) Asch S. E. (1987). "Social psychology". Oxford University Press .

(107) Ashton, M.C. (2013*). Individual differences and personality (2nd edition). San Diego, CA: Academic Press.*

(108) Brewer, M.B. (2003). Intergroup relations (2nd ed). Buckingham, UK: Open University Press.

(109) Carson, T. L. (2006). "The Definition of Lying." Nous, 40:284-306.

(110) Chater, M. (2001). Children, Doorposts, and Hearts: How Can and Should Religious Traditions respond Spirituality In Postmodern Setting?, In J. Erricker, C. Ota & C. Erricker, (Eds), (2001). Spiritual Education: Cultural, Religious, and Social Differences : New Perspectives for the 21st Century. (PP. 63-74). Brighton: Sussex Academic Press.

(111) Costello, K., & Hodson, G. (2010). Exploring the roots of dehumanization: The role of animal-human similarity in promoting immigrant humanization. Group Processes and Intergroup Relations, *13*, 3-22.

(112) Dayal,J. (2002). Political obscenity, http://groups.yahoo.com/group/cjesa/message/7581

(113) Demeter, G (1969). Demeter's Manual of Parliamentary Law and Procedure.

(114) Franssila, S. (2012). The Marketplace of Ideas. A Corpus Study of Buy and Sell Metaphors in American Political Discourse. Master's thesis, Department of Modern Languages, Faculty of Arts, University of Helsinki.

(115) Haidt, J., & Graham, J. (2007a). Planet of the Durkheimians: Where Community, Authority, and Sacredness are Foundations of Morality. In J. Jost, A. Kay & H. Thorisdottir (Eds.), Social and Psychological Bases of Ideology and System

(116) Haidt, J., & Graham, J. (2007b). When morality opposes justice: Conservatives have Moral intuitions that liberals may not recognize. Social Justice Research, 20, 98- 116.

(117) Hodson, G. (2013). Exploitation Is Exploitation, Period. Psychology To day, http://www.psychologytoday.com/blog/without-prejudice/201305/exploitation-is-exploitation-period

(118) Jarudi , I. (2009).Everyday Morality and the Status Quo: Conservative Concerns about Moral Purity, Moral Evaluations of Everyday Objects, and Moral Objections to Performance Enhancement, A Dissertation Presented to the Faculty of the Graduate School of Yale University in Candidacy for the Degree of Doctor of Philosophy.

(119) Milgram, S.,(1977). The Individual in a Social World: Essays and Experiments, Addison - Welesely Publishing Co., Mass.

(120) Millon,T. , Millon, C. Meagher, S., Grossman, S.& Ramnath, R.(2004). Personality Disorders in Modern Life, 2nd Ed, New York: John Wiley and Sons.

(121) Schumann , C. (2010). Nationalism and Liberal Thought in the Arab East: Nationalism and Liberal Thought in the Arab East: Political Practice and Experience, , 1 ed., (SOAS Studies on the Middle East, Routledge, Barnes & Noble.

(122) Slovic, P. (2007). "If I look at the mass I will never act": Psychic numbing and genocide. Judgment and Decision Making, *2*, 79-95.

(123) Williams, S. (2003). " The Secret of Secrets: the scholarly career of a pseudo-Aristotelian text in the Latin Middle Ages, Ann Arbor, University of Michigan Press.

(124) ZARD, C.E., DOUGHERTY, F.E., BLOXOM, B.M., & KOTSCH, W.E.(1974). The Differential Emotions Scale: A method of measuring the subjective experiance of discrete emotions. Unpublished paper. Tennessee: Vendubilt University.